كَلِمَات تُقرَأ ليلًا

الكتاب : كلمات تقرأ ليلاً
الكاتب : مجموعة مؤلفين
تصميم الغلاف : مصطفي عبد الستار
تدقيق لغوي : إسراء جمال
الإخراج الداخلي : مصطفي عبد الستار
رقم الإيداع : ٢٠١٩/٢٨١١٢
الطبعة : الأولى

٤ شارع كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
ت : ٠١٠٠٥٧١٩٠٤٢ - ٠٢٣٥٩١٨١٨
Beyond.dbh@gmail.com
جميع الحقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

كَلِمَات تُقرَأ ليلًا

مجموعة مؤلفين

(مجموعة قصصية)

دخان الموت

تبخَّر مع الدُّخان الأزرق الصاعد من لفافات التبغ المحشوة بالحشيش، نسي أين كان وكيف يكون ومتى سيكون، غاب عن الواقع وذهب لعالمٍ آخر خارج حدود القوانين والجاذبية، صعد لأعلى، فوق السحاب، بل خارج حدود الكون.

رآه هناك حيث اللا حدود ببذلته الرسمية ذات النجوم والنسرين المعلقين على الأكتاف، كان يقفُ بهيبته المعتادة ومنكبيه العريضين، عينيه السوداوين اللتان تشعَّان رعبًا، قامته الطويلة وعضلاته البارزة برغم تقدُّمِ عمره وشيب شعره، تلك النظرة الحادة المعتادة والتي يكمِلها الشَّارب الكث مهابةً.

نظر إليه سامر وقدماه اللينتان تكادان تحمِلانِه من الخوف، لطالما كان والده سرُّ خوفه؛ ففي عينيه لم ير أبدًا دفئًا أو حنانًا بل كان دائمًا فزَّاعته، منذ موت أمه وهو في الثالثة من عمره لم يضمَّه قط ولم يسمع منه كلمةً واحدة، أو يرى منه فعلًا واحدًا يثبِت حبَّه وعاطفته الأبوية.

عاشا معًا حياةً خالية من المشاعر، بل كانت حياةً قاسية، وكأنَّ أبوه لم ينس أنه ضابطٌ بالجيش، طوال الوقت وهو يتعاملُ معه كعسكري في خدمته، وعليه إطاعة الأوامر مهما كانت ومهما كلفه الأمر، وإلا فالعقابُ شديد.

تابع النظر إليه باقتضابٍ وغضب كعادته، تقدَّم نحوه بخطواتٍ بطيئة حدَّ القتل فانهمر العرق من كل مكان في جسده، وكعادة تلك المواقف تخوننا دائمًا الأشياء التي نكون في أمس الحاجة إليها، تسمَّرت قدماه وخانته أعصابه.

كيف يعقل هذا فجسده يتضخم أكثر فأكثر وعيناه تفوح منهما رائحة الموت؟!

ظلَّ يقترب ويقترب، أخرج من جيبه مسدسًا له فوهة عملاقة، ما هذا؟

هيئته تتغيَّر بشكلٍ غريب، فمه ينفتح بل ويتَّسع، وتبرزُ منهُ أنياب حادة طويلة وكأنَّه يتحول إلى.. إلى.. ثعبان.. ثعبان.

أفاق أخيرًا ليجِد نفسه مستلقيًا على أريكته ولهاثه يكاد يفجر رئتيه، نظرَ أمامه ليجد لفافات الحشيش تسكنُ بجوار زجاجات الخمر رخيص الثمن، مدَّ يده وحمل إحداها وسكب محتواها في فمه ليروي ظمأه، ثمَّ مسح بيده على جبينه لتتساقط حبَّاتُ العرقِ المُنهمِر.

انتفض مكانه عندما رنَّ هاتفه، لعن الهاتف والمتصل وقام يستندُ إلى الطَّاولة ويلملمُ شتات أعصابه، دخل المرحاض وفتح الصنبور عن آخره، ثمَّ وضع رأسه تحت الماء في محاولةٍ بائسة لجمع شتات أفكاره.

ارتشف من فنجان قهوته رشفةً قبل أن يضعها أمامه ويُشعل لفافة تبغ وينفث دخانها في الهواء، نظر لصورةِ والده المعلَّقة وظلَّ يحدقُ فيها بغل وضيق.

- لماذا تطاردني؟ ماذا تريد مني؟! ألم يكفك ما فعلته معي طيلة السنوات التي عشتها مجبرًا معك؟!

مسح بيده دمعةً حارةً نزلت من عينيه الذابلتين حينما تدَاعت عليه الذكريات المؤلمة بكل أوجاعها دفعة واحدة؛ رفضُ أبيه لأي شيء يريده، حرمانُه من كل متع الإحساس بالطفولة من لعبٍ ولهو، حتَّى زيارات الأقارب كانت تكاد تنعدم، تَركُه في المنزل وحيدًا لساعاتٍ طويلة، علاماتُ الضَّرب التي تؤلم روحه حتى الآن.

عاد بنظره للصورة وقال بأسى:

- أتعلم أنك السبب في عجزي؟!

لقد عجزتُ عن كل شيء؛ الحب، التواصل مع الناس، حتَّى أني عاجزٌ عن تحطيمِ تلك الصورة اللعينة، تبًا لتلك الظروف التي تجبرنا على العيش مع أناس ميتين ليجعلونا أيضًا ميتين!

سكت فجأة وجحظت عيناه عندما لمحه يتحرك، لا، لا، إنَّها مجرد صورة، أشاح بوجهه بعِيدًا وفرك عينيه، ثمَّ عاود النظر من جديد، تبًا لتلك التخيلات!

ذهب للمطبخ يبحثُ عن طعام يُسكت به معدته المستغيثة، فتح الثَّلاجة فلم يجد سوى زجاجات الخمر وبقايا طعامٍ يبدو عليه العفن، هناك كيسٌ بلاستيكي راقدٌ في أسفل الثلاجة، أمسك به وفتحه لينظر لما به، ما تلك الرائحة!

سدَّ أنفه بإصبعيه وألقى بالكيس في صندوق القمامة، وما إن أولاه ظهره إلا وسمع صوتًا، التفت للصُّندوق فلم يجد شيئًا.

همَّ بصُنع كوبٍ من الشاي بيدَ أنَّ الصوت عاد من جديد، وكأنَّ هناك فأرًا ضالًا بعثه حظه العسر لذلك الصندوق الفارغ إلا من فتات طعامٍ ميت لرجلٍ ميت، تجاهله وعاد لما كان يفعل، أخذ كوبه وخرج لغرفة نومه، وضع الكوب على الكومود وأخرج علبة سجائره وأشعل منها واحده، ثمَّ استلقى على السَّرير وأسند رأسه للخلف فسمع صوتًا يأتي من الأسفل؛ لذا وضع سيجارته في المنفضة وهم يرفعُ الملاءة فتذكَّر الأفلام الأجنبية وما يحدث فيها في تلك اللحظات، ضحِك من نفسه ساخرًا ورفع الملاءة بالفعل ليجد كيسًا بلاستيكيًا أسود، لم يتردَّد في سحبه لرؤية ما بداخله واشتمَّ نفس الرائحة الكريهة التي وجدها في المطبخ منذ قليل.

عجيبٌ أمر هذا الفأر فهو لم يكتف بصندوق القمامة بل أتى بالكيس إلى هنا، هكذا حدَّث نفسه قبل أن يأخذ الكيس ويذهب ليلقيه في الصندوق، نزلت عليه الصاعقة عندما وجد الكيس الآخر بالصندوق فعلًا، نظرَ لِما في يده والرَّعشة تتملك منها، ظلَّ ينظر للكيسين ويحاول إقناع نفسه أنَّها الصدفة، فالمنزل لا يعتني به أحد منذ أن مات والده وحتَّى الطعام فلهو ا يصنعه لنفسه إلَّا نادرًا.

عقد العزم أخيرًا وقرَّر أن يفتح الكيسين، ولكن بأيهما يبدأ؟!

بعد تفكير لم يستغرق إلا ثوانٍ قرَّر أن يبدأ بما في يده، بيدين مرتعشتين وضعه على الأرض وفكَّ عقدته بصعوبة، فتحه بتردُّد ونظرَ بحرصٍ فلم يجد إلا بقايا عظامٍ تبدو أنها لدجاجة أكلت منذ زمن وأخفى آكلها البقايا حتى لا يُكتشف أمره، ذلك ما فعله هو عندما كان معاقبًا بالحرمان ممَّا يحب من الطعام.

سال الدمع من عينيه حارقًا فمسحه بيده وترك ما فيها لينتقل للكيس الآخر، بثقةٍ انتشله من الصندوق ليفتحه لكنَّه لاحظ ثقل وزنه، لم يلق بالًا وحلَّ العقدة فزادت الرائحة بشاعةً وكاد يقيئ من شدتها، ابتعدَ قليلاً وسدَّ أنفه، بروية مدَّ يده الأخرى وفتحه، هناك لمعةٌ عجيبة لابدَّ أنها لقطعة زجاجية، جاهد إحساسه بالرغبة في التقيؤ واقترب ليرى عن قرب، اتَّسعت حدقتاه وكاد يصرخ لولا اليد التي قفزت من الكيس وامسكت برقبته، ارتمى على الأرض يُجاهد في اقتلاعها وإبعادها عنه فلم يستطع، علم عندما رأى ذلك الخاتم الفضي ذو الحجر الزجاجي اللامع أنَّها يد والده، ظلَّ يسحبُ في يده اللعينة في محاولةٍ بائسة للإفلات بحياته حتى كاد يفقدها، لم تعُد رئتاه تحتملان أكثر كما ذابت أعصابه وانهارت فظلَّ يتشنجُ وهو ملقىً أرضًا كذبيحة تُسلب منها آخر خيوط الحياة، وأظلمت الدنيا من حوله.

شهق أخيرًا ليتزوَّد من الهواء بما يكاد يرد روحه إليه، ظلَّ يسعلُ ويأخذ نفسه رويدًا رويدًا حتَّى استقر، دمعت عيناه حزنًا وحسرةً على حاله، لماذا يحدث معه ذلك؟! ولماذا يُطارده شبح والده حتى بعد موته؟!

تلفَّت يمينًا ويسارًا يبحثُ عن اليد فلم يجدها، كان راقدًا على أرضية المطبخ وبجواره يستلقي صندوق القمامة لافظًا ما يحتويه، قام مستندًا إلى الحائط واتجه لأريكته، تناول زجاجة خمر وتجرَّع نصفها دفعة واحدة، رنَّ جرس الباب عدة مرات حتى استجمع سامر قوَّته وقام ليفتح فلم يجد أحدًا أمام الباب، وقبل أن يُغلق وجد صندوقًا خشبيًا صغيرًا في حجمِ علبة الهدايا يرقدُ أمام الباب، نظرَ إليه متعجبًا ثمَّ حمله للداخل، يبدو من خفَّة وزنه أن ما به شيء صغير، وضعه على المنضدة بجوار زجاجات الخمر وتناولَ لفافة تبغٍ محشوة وأشعَلها يستجمعُ بها شتات أفكاره وما تبقى من له تركيز.

جسدُه المثقل المفتقر للطعام منذ مدة كان بحاجة للنوم؛ لذا دخل غرفته وألقى بجسده على السرير ليذهب في ثوانٍ لرحلةٍ هادئةٍ وخاليةٍ من الاضطرابات، أصواتُ طرقٍ على النافذة أقلقت راحته ففتح عينيه بثقل ونظر ناحية الطرق، ثمَّ استسلم مرةً أخرى بيدَ أنَّ الطارق لم يستسلم وظلَّ على حاله، قام يستشيط غضبًا من هؤلاء الأطفال الذين يقلقون راحة النائمين وكأنه حقهم، قام وبحث عن عصا يهددهم بها وذهب وقبل أن يفتح النافذة توقف الطرق، تعجَّب وقال في نفسه (لعلَّهم لاحظوا حركته فتوقفوا) وقبلَ أن يعودَ لمرقده عاد الطرق، ولكن ما هاذا؟!

الطَّرق يتمُّ بشكلٍ منتظم وبنفس القوة والسرعة، ما هذا الطفل الدقيق!

اقترب بحذر من النافذة وفتحها فجأة لكيلا يدع فرصةً للطارق للهرب، توقَّف وكاد أن يقع عندما شاهد ارتفاع البناية؛ فهو يمكث في الدور الأول والآن هو بالكاد يرى الأرض، أمسك برأسه الذي يكاد ينفجر، أغلق النافذة سريعًا وجلسَ على سريره يلهث، توقَّف عقلُه عن التفكير وكاد ينفجر من هول ما يحدث، كيف؟! كيف؟!

دقائق حتَّى استعاد رشده فنظر للنافذة وحاول إقناع نفسه أنَّها مجردُ أوهام أو ربما الحشيش الذي ابتاعه من (حسني دبشة) المسؤول عن التوزيع في المنطقة ربما هو مغشوش، ظلَّ يلتقط أنفاسه ويملأ صدره بالهواء حتى هدأ.

توسُّلات معدته الفارغة عادت من جديد ففكَّر في عمل أي شيء يُؤكل ولم يجد، عليه الآن أن يذهب بنفسه ليجلب ما يقتات به، بحث عن محفظة نقوده فوجدها بداخل درج الكومود، فتحها فشاهد صورةً قديمة لأمه يغلب عليها اصفرار الزمن، ودون أن يدري سالت دموعه، سقطت دمعةٌ على الصورة فاشتعلت النار بها، فزع مما رأى فألقاها وتراجع، لم يصدق ما شاهدته عيناه وكاد يجن، ظل يصرخ ويصرخ وتتعالى صرخاته حتَّى سقط.

صداعٌ غير محتمل يتملك من رأسه، قام مجاهدًا إعيائه حتى وصل لشريكة وحدته وسهره وحزنه، أريكتُه القابعة في مكانها منذ زمن لا يعرف حتى متى بدأ، أراحَ جسده المنهك عليها وأغمض عينيه قليلًا، تذكَّر الصُّندوق الصغير

الماكث فوق المنضدة فتناوله وهزَّه هزة خفيفة، تساءل من أين جاء وكيف ولماذا؟

لكنَّه فضَّلَ عدم شغل باله بتساؤلاتٍ لا تجدي نفعًا، فتحه بحرصٍ شديد وكأنه يحتوي على ألغام أو ربما ما حدث معه منذ قليل جعله يتوجس من أي شيء مغلق، الصُّندوق لا يحتوي إلا على شريط فيديو مكتوب عليه (إلى ولدي العزيز) استغرق دقيقةً كاملة ليستوعب ما بين يديه.

هل والدي حقًا ترك لي هذا؟!

وهل كما قرأت أنَّه وصفني بابنه العزيز؟!

هو لم يقلها قط ولم أسمع منه يومًا كلمة ولدي!

وضع الصُّندوق والشَّريط على المنضدة وقام للثلاجة يجلبُ زجاجة خمر باردة، أشعل لفافةً ونفث دخانها بكل ما أوتي من قوة، وكأنه يخرج مع دخانها كل ما يحمل من هم وحيرة، تجرَّع قدرًا من الزجاجة وقام إلى جهاز تشغيل الفيديو ومعه الشريط، أدخل الشريط في مكانه وقام بفتح التلفاز، كاد التلفاز يعمل لولا انقطاع التيار الكهربي فجأة، ما هذا الحظ المنحوس!

قالها وهو عائدٌ إلى المنضدة ليجلب قداحته ويشعل شمعةً تضيء له الغرفة.

بدَّد لهيب الشمعة الظلامَ الحالك، ولكن هناك شيء عجيب، لقد تغيَّر لونُ اللهيب عدة مرات؛ فلونه الأصفر تحوَّل إلى الأزرق ثمَّ الأحمر ثمَّ الأسود، كيف يعقلُ هذا؟! إضاءةٌ سوداء في ظلام حالك!

كيف أرى؟ وكيف تحوَّل اللون هكذا؟

كان هادئًا، كل هذا وهو جالسٌ في مكانه يتابعُ ما يحدث حتى لمح ظلًا يتحرَّك في اتجاه غرفة نوم أبيه، تسارعت دقَّات قلبه تُصاحبها بعض حبات العرق على جبينه، حاول أن يقنع نفسه أنها خيالات إثر اهتزاز اللهيب، أكمل شرب سيجارته وكان يستمتع بشكل الدخان فوق لهيب الشمعة.

صارت الأمور طبيعية حتى أُضيئ نور غرفة أبيه دون باقي الشقة، سقطت الزجاجة من يده وقام فزعًا؛ خاصةً بعد أن رأى خيال امرأة يتحرَّك في الغرفة، هرول لمفاتيح الكهرباء الرئيسة، حاول تحريكها لأعلى وأسفل علَّها تكونُ هي السَّبب، لكن لا شيء يحدث.

اقترب بحذرٍ شديد من الغرفة وهو يقنع نفسه أنَّه ربما يكون مجرد لص، سحب في يده تمثالًا حديديًا صغيرًا كان موضوعًا في مكتبة بجوار الغرفة، اقترب أكثر ونبضاتُ قلبه تسرع أكثَر، أَمسك بمقبض الباب وانتظر حتَّى استجمعَ ما تبَقى لديه من قوة، فتح الباب وهو شاهرٌ التمثال، ولكنَّ ما رآه كان أكبر من درجة احتماله.

أمه التي لا يعرفها إلا من الصورِ القديمة لها تقفُ أمَامه بجسدها النَّحيل مرتديةً فستانًا أبيض، وشعرها الأسود الليلي يطير في الهواء ليداعب خديها، عيناها الواسعتان اتَّخذا من السماء زرقتهُما، شفتاها الورديتان تبتسمان له في رقة لم يرها في حياته، ظلَّ واقفًا بمكانه دون حراك حتَّى تحركت هي تجاهه، بغير قصد عاد للوراء فتعثرت قدمه وسقط وارتطمت رأسه بالحائط وفقد الوعي.

أفاق بعد مدَّة لا يعلم كم كانت، أمسك برأسه وتحسَّس موضع الارتطام، بعضُ الدماء التي سالت قد تجلطت، اعتدلَ وجلس مستندًا بيده، تذكَّر ما حدث قبل إغمائِه فنظر لموضع وقوفها ورأى جزءًا من فستانها ملقىً على الأرض، مدَّ يده ليمسكه فشعر بدوار شديد، حاول التماسك قدر المستطاع ولكنْ تكالب عليه الصداع والدوار فسقط ليرى طيف أمه يسير في الغرفة ويبدو عليها أنَّها في أواخرِ أيام حملها، جلست على كرسيٍ مقابل للسرير وفي يدها صندوق صغير، ما هذا؟!

إنَّه نفس الصندوق الذي وجده أمام باب شقته، فتحته وأَخرجت منه خنجرًا صغيرًا و.. لقد جرحت يدها وسال دمها داخل الصندوق، هناك شبحٌ لرجلٍ ضخم الجثة، أسود الوجه يأتي من خلفها، أرادَ أن يصرخ بعلو صوته ليحذرها لكنَّ صوته لم يخرج من حلقه، وضع الرجل يده على كتفيها وظلَّ يرددُ كلماتٍ ليست مفهومة له و..

أفاق ليجد نفسه يفترش الأرض بجوار السرير، قام وعقله لا يطاوعه على التفكير، أخذ قطعة القماش وخرج، تذكَّر شريط الفيديو فذهب وأعاد تشغيل الجهاز وجلس يشاهد، يظهرُ على الشاشة والده وهو في زيه الرسمي ويجلس أمام الكاميرا، يعتلي الحزن ملامحه وهو ينظر مباشرة إليه، تنحنح وقال:

- ولدي العزيز، لتعلم أنك عندما تشاهد هذا الشريط سأكون ساعتها تحت التراب، ولدي اليوم قد أتممت عامك العشرين فلتعلم أني أحبيتك بكل ذرة فيّ، أنت لم تر هذا بل رأيت مني قسوةً وشدَّة، سامحني يا ولدي فعندما تعلم لما فعلت هذا أنا متأكد أنك ستغفر لي.

أظلمت الدنيا من حوله لبرهة ثمَّ عاد النور من جديد، ما هذا؟! يبدو أنَّ شكل الشقة تغير كثيرًا، لقد تجددت محتويات الشقة وتغير لونها، تبدو وكأنها جديدة، قام مذهولًا يتلفت حوله غير مصدق، فركَ عينيه وعاد ينظر فلم يتغير شيء، كاد عقله أن يطير لولا صوتُ مزلاج الباب يعلن قدوم أحد فأخرجه من شروده، نظر تِجاهه فصعق عندما وجد والديه يدخلان وكأنهما حديثي زواج، تسمَّرت قدماه وتعلَّقت عيناه بهما.

لم تتغير ملامح أمه كثيرًا عمَّا تبدو عليه في الصور، لكن أبوه كان يبدو عليه تغيرٌ كبير؛ فقد كان يبتسم ويضحك وملامحه أنقى وأجمل، أراد أن يفتح فمه ويكلمهما لكنه لم يستطع فأحباله الصوتية تأبى أن تتحرك، حاول كثيراً دون جدوى.

ظلَّ يحركُ يديه لهما ولكنهما لم يرياه، انبهاره بما يراه كان أقوى من رغبته في التحدث معهما، تبدَّلت الأماكنُ فجأة فوجد نفسه في غرفة نومهما وهما يتحدثان، كان واضحًا على أبيه الغضب وهذا من نبرة صوته في التحدث مع أمه التي كان يتضح أنَّها في أيام حملها الأخيرة، راقب الحديث عن كثب.

أمه: يا حبيبي، لماذَا لا نرحل من ذلك المنزل الملعون ونريح أنفسنا؟!

ابيه: هذا لن يحدث أبدًا؛ فهذا بيت أبي ولن أفرط فيه، فلتتوقفي أنتِ عن تلك الخرافات التي تتفوهين بها.

أمه: خرافات! أتسمي ما أقول بعد أن أثبتتُ لك ما أراه وما يحدث معي خرافات؟ حسنًا، كما تريد ولكن لا تلمني على شيء.

تجاهل أبوه ما سمع وغطَّى وجهه ونام.

ترى ماذا رأت أمي وماذا حدث معها؟! ولماذا لم يصدقها أبي؟!

لم يمهله الزمن وقتًا للبحث عن إجابات فقذ وجد نفسه غي مشهد آخر، الآن هو في غرفته، يرى أمه تجلس بجوار طفلٍ صغير وتنظر إليه وهو نائم ببراءة الملائكة، نظر ليجد أنه هو في صغره، دموعُ أمه التي تنهمر خطفت قلبه وأراد أن يضمها ليطمئنها ويطمئن بها لكنَّه كالعادة عاجزٌ عن الحركة، لم تنطق أمه بكلمه ولكن نظراتها له كانت تتحدَّث بالكثير.

انتقل مرَّةً أخرى لغرفة نوم أبويه، أمه تحمل صندوقًا خشبيًا صغيرًا تنظرُ إليه وهي ترتجف، تُخرج منه خنجرًا وتمسكه بقوة، ما هذا؟!

لقد رأى ذلك المشهد من قبل، نعم، ستجرح أمه يدها ولكن.. ولكن سيأتي الكائن الضخم الآن.

بالفعل جرحت أمه يدها وتركت الدماء تسيل داخل الصندوق، وها هو الرجل الضخم المتشح بالسواد يقفُ خلفها ويضعُ كلتا يديه على كتفيها وينطق بكلماتٍ غير مفهومة، لقد تغيَّرت الإضاءة أكثر من مرة، الأرضُ تهتزُّ من تحته وأمُّه يتغيرُ لونها للأصفر الباهت، إنَّها تموت، حاول التحرُّك فلم يجد القدرة على ذلك، أراد الصراخ بأعلى صوته فلم يستطع، وفجأة أظلمت الدنيا من حوله.

عاد لموضعه أمام التلفاز ليجد صورة أبيه وكان يبكي بكاءً شديدًا وهو يقول:

- وبتلك الطريقة افتدتك أمُّك بنفسها يا بني، أنا أعلم من البداية أنَّ هُناك سرًا في هذا المنزل، ولكني لم أستطع معرفته.

ازداد بكاؤه فحاول التماسك ليكمل آخر كلماته:

- سامحني يا ولدي، سامحني فلم أستطع إنقاذ أمك وقد توفيت بعدها بأيام، عشتُ بعدها حزينًا منكسرًا، كنتُ أراك السبب في موتها ولكن.. ولكن بعدما وجدت تلك الورقة التي ستجدها في الصندوق أدركتُ أني أنا السبب.

وهنا انتهى الشريط، واختفت صورته من على الشاشة.

ظلَّ ثابتًا مكانه دقائق ليستوعب ما شاهده (بتلك الطريقة افتدك أمُّك بنفسها) تكررت العبارات في أذنيه فقام مسرعًا إلى الصُّندوق يبحث عن الورقة، وجدها بالفعل وكان يبدو عليها القدم، هناك أيضًا آثار دماء عليها، فتحها بحرص وقرأ ما فيها (هذا العهد بين أصحاب المنزل القدماء وبني البشر؛ لتستمر الهدنة بيننا يجب الافتداء وإلا أخذنا أصغرهم، لقد وافقنا على افتداء سليم الأصغر بروح أمه، وفي الموعد المحدد سيتطلب الأمر افتداءً جديدًا لتستمر الهدنة، وإلا أخذنا نحن من نريد وتبدأ الحرب) اتسعت حدقتاه من هول ما قرأ؛ فجدته افتدت أبيه بروحها وكذلك فعلت أمه، لم يتمالك نفسه وقطع الورقة وألقاها على الأرض، وهنا شعر بشيءٍ غريب واشتعلت الورقة من تلقاء نفسها، دخان كثيفٌ ملأ المكان في لحظات، وهو غير مصدق لما يحدث، تراجع مبتعدًا عن الحريق حتَّى وقع على الأرض، تشكَّل الدُّخان و..

إنه هو، ذلك الرَّجل الضخم الذي رآه من قبل.

- ماذا تريد؟ ماذا تريد؟

الفزع يتملك منه والرجل ينظر إليه بعينين من نار، اقترب منه حتَّى شعر بحرارةٍ وكأنها الجحيم، تحدَّث بصوتٍ كالرَّعد:

- لقد جئتُ لتجديد العهد.

- م.. ماذا؟

- إما تفتدي نفسك أو تهلك.

فكَّر سريعًا فلم يجد أمامه سوى الركض، ظلَّ يزحف على يديه وقدميه للخلف حتى ابتعد قليلًا لكنَّ ذلك الضخم كان قريبًا جدًا منه، أَراد الوقوف على قدميه فلم تستطيعا حمله، استسلم أخيرًا وظلَّ ثابتًا مكانه، أغمض عينيه في انتظار قدره المحتوم، ثمَّ لم يحدث شيء، فتح عينيه ببطء فوجد نفسه راقدًا على الأرض وحده ولا أثر لأحد، تلفَّت يمينًا ويسارًا، لا شيء على الإطلاق، رنَّ هاتفه فنظر تجاهه، ذهب وقلبه يتواثب ليجد صديقه مَن يتصل، ردَّ بسرعة ليستغيث به:

- ممدوح، أين انت؟

- سامر كيف حالك؟!

أخبرني كيف كانَ مفعولُ الحشيش الجديد؟!

وأتبع جملته ضحكةً سمجة، وهنا تذكَّر سامر ذلك الحشيش الغريب الذي أتى به صديقه وقال له (تلك الخلطة جديدة تسمى: هلاوس) ترَكَ الهاتف من يده وتنفَّس أخيرًا، وضعَ الهاتِف على المنضدة ونظر للفَافة التبغ المتبقية وبفضولِ البشرِ القاتل أَخذها وأمسك بقداحته وقبل أن يشعلها، أظلمت الدنيا فجأة!

تمت

كريم أحمد صادق

اغفري لي

دعينا نتَّفق أن المرء منَّا يحيا حياته مرةً واحده فقط بحلوها ومرَّها، لن تتكرر وعليه أن يُقرر كيف سيعيشها، إن بدأ بالتهاون والرضا بالذل مات عليه، وإن قاومَ المُذلَّات عاشها بكرامة وإن مات قتيلها!

كانت تلك كلماته لي قبل رحيله من قريتنا منذ ما يقارب الخمس سنوات، حينها كانت عيناه مليئتين بالوداع، حتَّي نبراته كانت تودعُني، ولكني لم أفهم أو تظاهرت بعدم الفهم وقتها.

ختمت سُلوان حديثها مع رفيقتها تُقي بالدموع؛ فمهما طالت غيبته لن تنساه ولن تكُف عن البكاء، فمن تعشقه الروح كيف للعين أن تنساه!

كلامها مع رفيقتها جعل ذاكرتها تعود أدراجها سنواتٍ عدة، من يراها تضحك يظُنها سعيدة، ولا أحد يعلم ما بالروح من خبايا وجروح.

****

أتتركني حقًا لهم؟! أتتخلي عني بتلك البساطة واليُسر؟!

ولكن كيف لك أن تقولها؟ وكيف تقررُ عني ما يهمني؟

أخطأتَ بحقي كثيرًا اليوم نديم، في بادئ الأمر ظننتك ستقف ضد الطُّغيان في سبيلي ولكني أخطأت الظن ووجدتُك هاربًا مني قبلهم، ومؤخرًا أتيت لتخيرَني بين حبك والفرار معك وبين هواني والبقاء هنا، لكنَّك ما عهِدتني يومًا ضعيفةً يا نديم، ولن أكون اليوم هكذا لا لك ولا لغيرك.

أطلقت سُلوان سهام كلماتها ورحلت عنه لتتركه يتخبَّط في أفكاره شاردًا في طيفها الراحل، هي حبيبته الأولي والوحيدة وابنةُ خاله كذلك، تعاهدَا

على البقاءِ معًا وبناء بيتٍ دافئٍ يملأه الحب والسلام، عاهدته أن تسير معه على نهجٍ من القرآن وأنَّها ستكون جيشه الأوحد إن رمته الهموم وحيدًا في الطرقات، عاهدت وكادت أن تصدق الوعد لولا غدر الأيام!

تذكَّر أيامهما معًا ومدى حبه لها، وكيف وعدها بحياةٍ يملأها الحب والسلام وقابلته الدنيا بالعكس تمامًا، صادقٌ هو من قال أنَّ الرياح لا تأتي بما تشتهيه السفن!

****

قبل يومين من لقائه مع سُلوان حضر لبيته سالم وهو أحد رجال حاكم البلدة، أعطاه رسالةً مطويةً بنظره تحملُ الكثير من البغض له، وقال بنبرته الخالية من كل معالم الإنسانية: يأمرك سيدي بسرعة الرد وتنفيذ فحوى الرسالة، وإن عصيت هلكتَ أنت ومن تُحب.

أبلغه الرسالة وتركه وخرج ليترك نديم متعجبًا من حضوره ومن كلامه ومن غموض الرسالة الكلامية تلك، ولكنَّه ترك التعجب جانبًا لحين معرفه ما تحمله الورقةُ المكتوبةُ بين يديه، وهمّ بفتحها ليجد حروفها نُقشت بالدم!

"ليس لكَ مني التحيَّة أو السلام ولكَ مني كل العذاب، لعلَّك تعجبت مما قاله لك سالم على لساني ولم تكف من التعجب حتي فتحت الرسالة لتجد رائحه الدم فواحةً منها ليزداد تعجبك خوفًا ورهبة، ولكنِّي علمتُ أنَّك لا تهاب أحدًا غير خالقك ولا تطيع أسيادًا أو حكامًا ، كما علمت أمر عشقك الطفولي لابنة خالك الحسناء، أعلمُ أنَّ قلبك تزداد دقاته الآن خوفًا عليها مني، وأعلم أيضًا أن رغبتك في معرفه ما أريده منك تزداد أكثر؛ لذا لن أطيل الحديث معك عن محبوبتك الحسناء وسأدخلُ في صميم الموضوع وإليك مطلبي وعليك السمع والطاعة، إن عصيت سيكون دم محبوبتك في رسالتي القادمة كَدم إحداهن الذي بين يديك وتشم رائحته "

ارتعشت يدا نديم وخفق قلبه كثيرًا وازدادت ضرباته حتَّى أنَّه كاد يسمع دويهُ عاليًا، حاول تهدئة روع نفسه ليستكمل تلك الرسالة الملعونة وهو يسُبُّ سُفيان في نفسه على مدى جبروته وقوَّته، همَّ ليستكمل الرسالة لولا وقوع عينه على مطلبه الحقير فَخرَّ واقعًا من صدمته.

لا يعلم كم مرَّ عليه من الوقت وهو ملقىً على الأرض كالمدفون حيًا، ولكنَّه كان يتمني أن يموت حقًا أو أن يُفيق فيجد نفسه حالمًا ولا يوجد أي صحة لما قرأه توًا، لكنَّه أفاق على الواقعِ المرير، لم يكن الأمرُ حُلمًا بل بات واقعًا أسود لا يدري كيف سيخرج منه.

كان نديم يعلمُ مدى قوه سفيان وجبروته؛ فهو يحكم البلدة بالسيف والحرب، من عصي قُتل ومن رفضت الخضوع استباح حُرمتها وقُتلت بعدها، كان كريهًا لأبعد حد، يكرهه الناس ويحكمهم بالظلم والعدوان، لم يحبه أحدٌ قط غير حاشيته الظالمة التي تعيش من خيره، حتى إنَّ حبَّهم له رياء فهو من باب الخوف لا غير ذلك.

تجمَّدت الدماء بعروق نديم عندما خُيل له أنه ينفذ ما أمره به سفيان ويسير طوع بنانه، لكنه وقف جامدًا لا يفكر في شيءٍ سواها، ما مصيرُها إن رفض الطاعة وأعلن العصيان؟

وما مصيره معها إن قبِل بالذل والهوان؟ كيف سيحيا بعدها وكيف سيهون على قلبه ما سيفعل؟ هذا إن قبل بالأمر وأطاع.

فكَّر في مشورتها والأخذ برأيها ولكنه خاف عليها؛ فإن علم سفيان سيقتلهما معًا لا محالة، ولكنَّ كيف سيخرج من هذه الورطة؟!

بات ليلته والخوف يسيطر عليه حتَّى خُيل له أنه نفذ ما أُمر به ليصرخ مستيقظًا مستعيذًا بالله من الشيطان (سفيان)، وفور استيقاظه عزم على أن يرى سُلوان ويقص عليها ما جاء به رسول سفيان في رسالته وليحدث ما يحدث.

كانت الدموع تنحدرُ من مقلتيه وهو يتذكر عجزه أمامها غير قادرٍ على البوح بما في قلبه، لم يقُل سوى أنه هُدد بالقتل من قِبل سفيان إن بقي بالبلدة وتزوَّجها، تلك الكذبة التي قام بتأليفها ليجعلها تكرهه وتنساه حتى إن عاش مظلومًا مغلوبًا على أمره، هو من عاش كريمًا وسط البلدة لا يهاب أيَّ طاغية أو جبار، كيف له أن يحيا وسطهم ذليلًا حقيرًا كما يريد سفيان؟!

حضّر أمتعته للرَّحيل وخرج من البلدة وفي قلبه أمران أولهما: أن يظنَّ سفيان أنه طوع أمره وسينفذه له ليضمن أن تحيا سُلوان حياه كريمة، وثانيهما: أن تغفر له سُلوان رحيله المفاجئ إن قُدرت له العودة مره أخرى.

****

ترك خلفه كل شيء ولا يعلم ما بنفسه سوى الخالق الجبار، مَن أمرنا بعدم استباحةِ الدماء ولعنَ من استهان بها ليوم العرض العظيم، تُري كيف للمرء أن يعصي من خَلَقه ليرضى من خُلق مثله؟!

****

كانت سُلوان تصلي كل ليلة وتناجي ربها أنْ يجعل لها نصيبًا من اسمها ويلهمها الصبر والسلوان في فقيدها، فمنذ رحيله لم تكفَّ عن ذكراه وتدعو الله أن يكون بخير حتى وإن كان مع غيرها، هي لا تعلم شيئًا عنه منذ رحيله وقاربت السنوات الخمس على الانقضاء ومازال قلبها العاشق يتعلق بالوعود والآمال في عوده الغائب وإن طال الغياب.

يا لها من فتاةٍ أحبَّت بصدق وعاشت بقلبٍ عاشقٍ لا يحمل من المحب سوى ذكراه! لكنَّ اليقين بالقلب يجعلها تصبر وتتحمل نظرات من حولها وتعصي أوامر عقلها، وتركت زمام أمورها للقلب يفعل بها ما يحلو له، لا تدري ما حدث لقلبها اليوم فمنذ أنْ استيقظت وهُو لم يكفَّ عن الخفقان بشدة حتَّى كاد يتوقف من سرعه دقاته، كانت تضع يدها على قلبها بين الحين والآخر وتدعو الله أن يحفظ

نديم ويقيه شرور نفسه وشرور دنياه، لا تدري لماذا ربطت دقات قلبها به ولكن القلب قلب، ويظلُّ قلب المحب دليله مهما باعدت المسافات بينه وبين من يُحب.

****

انتهي نديم من قصِّ حكايته على الشيخ العجوز الذي نزل في استضافته في تلك القرية البعيدة نسبيًا عن قريتهم والتي بها تمكثُ ضحايا سُفيان الصغار، نعم ضحاياه الصغار؛ فالطاغي يشتري البنات الصغار ويربيهنَّ عنده حتى يبلغن أشدهن، وعند بلوغهن سن الحادية عشرة يقوم سالم ومعاونيه بذبحهن وتقديم قلوبهن مغلفة لسُفيان حتَّى تكون وليمته بكل ليلةٍ يكتمل فيها القمر.

لم يصدِّق العجوز ما سمعه من نديم للتو، ولم يصدق أن هناك رجلًا _مهما بلغ من طغيان_ بهذا القلب الجاحد الذي يتجرَّدُ من كل معالم الإنسانية، قرَّر مساعدة نديم وقال: ستكون ضيفي حتى تنتهي الخمس سنوات وعند بلوغ تلك الفتيات السن المحددة سنكون قد وجدنا المخرج من هذا النصب اللعين الذي وضعك به سفيان، ولكن حتى يحين ذلك الوقت عليك أن تعدني بألا يعلم عن الأمر أحدٌ غيري، ردَّ نديم مُسرعًا والحروفُ تتبعثر من محياه: ولك مني ذلك الوعد.

كان نديم يعيش حياةً هادئة نسبيًا طيلة الخمس سنوات؛ فهو ضيفٌ عند العجوز يأكل ويشرب ويصلي فروضه بانتظام ويخرج ليري الناس ويتعرف على معيشتهم، هُم رغم بلدتهم الصغيرة ذات الإمكانات المحدودة يعيشون بهدوء لا تشوبه شائبة، وكيف لا وهم لا يملكون طاغيةً كسفيان؟!

لم ينساها قط، كان يبكي ليلًا على سوءِ حظه في البعد عنها ولكنَّه يحبها وكيف له أن يتخيَّل أن يقتلها ذلك الطاغي، انصاع لأوامره وتركها تنعتُه بالضعيف الجبان، ولكنه يعيش على أمل أن يراها ذات يوم ويخبرها بالحقيقة كامله وكيف أنه ضحي لأجلها، أخرجه العجوز من شروده قائلًا: مساء الغد يكتمل القمر يا ولدي، أمستعدٌ لما أنت مقدمٌ عليه أم بقلبك الخوف؟

ابتسم نديم ابتسامةً خافتةً وقال: أيُّ خوفٍ هذا شيخنا وقد حانت اللحظة التي حُرمت من أجلها موطني وأهلي ومحبوبتي، تأكد بأني على أتم الاستعداد لتلك اللحظة.

كانت نبرته صادقةً جادة، تخلو من المشاعر ممَّا جعل قلب الشيخ العجوز يطمئن على حياه الفتيات معه، استعدَّ نديم للرحيل فور بزوغ الفجر واستعدَّت معه الفتيات الثلاثة التاي وقع عليهم الاختيار من قِبل الطاغي سفيان، ودَّع نديم الشيخ كمَا ودَّعت الفتيات أهاليهن على وعدٍ من نديم لهم بقريب اللقاء.

وصل لقريته وعندما خطا أول خطوة بها خفق قلبُه بشدة، لا يدري أمن الاشتياق أم من هول تلك المغامرة، فهو على يقينٍ تام أنَّه إن فشلت خطته سيكون ضمن الوليمة التي ستقام بعد منتصف الليل.

****

سمعت إحداهن تهمس للأخرى باسمةً وتنظرُ لها، لم تكذب خبرًا حتَّى اقتربت منهن وسألت من تتحدث أنْ تعيد عليها ما كانت تقوله لتوها: هل لكِ أن تعيدي ما قولتِه مرةً أخرى؟ هل تقصدين نديم ابن عمتي أم هناك نديم آخر؟

كانت نبراتُ صوتها تنمُّ عنِ الأمل الجديد لحبها الدفين، نظرت لها إحداهنَّ مشفقةً: لا أقصد غيره سُلوان، زوجي رآه يتسللُ فجرًا نحو منزلِ سفيان وبصحبته ثلاثة فتيات، ثمَّ غمزت لمن بصحبتها واستأنفت حديثها قائلة: يبدو أنه يعمل معه ويعاونه على إحضار السبايا له، تُرى ماذا يقدم له أيضًا من محرماتٍ غير الفتيات؟!

كادت سلوان تضربها كفًا على وجهها لوقاحتها وسوء حديثها عنه، ولكنَّها كظمت غيظها وتركتهم وانصرفت، كان كلام المرأة يتردَّد على مسامعها ولا تدري لماذا كادت تصفعها ولماذا تدافع عنه حتَّى الساعة وهو من تركها بأمرٍ من سفيان، ولكن قلبها عارض ما فكَّر به عقلها وهمس لها بأنَّ هناك ما يحدث في الخفاء غير ما يراه العيان.

عندَ غروب الشمس وبعد تسلُّل خيوط الليل في السماء تسلَّلت سُلوان بخطواتٍ مرتجفةً وقلبٍ مرتعش نحو بيت سفيان علَّهَا تسترقُ النظر لغائبها العائد وتسمع ما يحدث من وراء ظهرها، دخلت فناء البيت ببطءٍ وحرصٍ شديدين خوفًا من أن يراها أحد فتقع أسيرة ظلمه كما وقع نديم، فور وصولها بحثت عن أقرب نافذه وأخذت تنظرُ من خلالها لعلها ترى شيئًا وهالها ما رأته من خلالها؛ طاوله كبيرة تستلقي عليها ثلاثة فتيات في مقتبل العمر مكبلات الأيدي والأرجل ولا يصدر منهنَّ أي صوت وكأنهنَّ منوَّمات بطريقة مغناطيسية فكل واحدةٍ منهنَّ مستسلمة لما يحدث لها من ذاك الظل الرابض أمام إحداهن.

تجمَّدت الدماء بعروقها فور رؤيته، لم يتغير كثيرًا عن الماضي بل بات أقوى وأشد، عضلات يديه البارزة تدلُّ على مدى قوه صحته، ولكن ماذا يفعل بهنَّ؟ وما دوره فيما يحدث ببيت سُفيان؟

أفاقت من شرودها على همسٍ يخرجُ منه للثلاثة القابعات على الطاولة بأن يستكنَّ ولا يُصدرن أيَّ حركة وإلا هلكن جميعًا، تعجبت لما يقوله لهنّ وأمعنت النظر بما يفعل فوجدته يضع على قلب كل واحدة منهنَّ كيسًا مليئًا بالدم ويضع من فوقه ملابسهن وعليها قطع لحم صغيرة لم تتبين كُنهها ولكن مجرد النظر أصابها بالإعياء الشديد، لحظات من الهدوء والسكون أنهى فيها (نديم) عمله ثمَّ دخل غرفةً ما وخرج منها ومن بعده سفيان بهامته المفزعة الضخمة، وجهه شديد السواد، به عدَّة ندُوب تدلُّ على جروح قديمة، عيناه بهما واضح، من يقف أمامه يظنه ينظر إليه والحقيقة عكس ذلك.

استرقت السمع لما يدور بالداخل حتى سمعت نديم يقول: وها أنا وفيت بوعدي القديم وأحضرت الفتيات كما أمرت، وهمّ باستكمال حديثه لولا ضحكات سفيان المتقطعة التي أوقفته، نظر نديم له بنظراتٍ متعجبة فقال له سفيان: تقصد خوفك مني على حسنائك سُلوان، وإخضاعك لأوامري، لقد حوَّلتُ أعزَّ القوم لأذلهم، أنت من لا يخاف أحدًا جعلتُك مجرد هاربٍ جبان لا يقوى على

فعل شيء معي وفوق كل هذا نفذت كل أوامري المتنافية مع عقائدك النبيلة، وبدأت نوبه الضحك مرةً أخري ولكن هذه المرة شاركه فيها نديم، وبينما هما يضحكان ويعيدان ما جاء به سالم رسول سليمان بالرسالة قبل خمس سنوات هُناك من تراقبُ ما يحدث بصمت وتكتم بيديها الشهقات الخارجة من فمِها.

اليوم فقط فهمتُ سبب كلام نديم معي قبل رحيله، يا لي من فتاةٍ غبية.

أخرجها من شرودها صوت محبوبها وهو يدعو سفيان لتناول وليمته فالوقت قارب على منتصف الليل، جلس سفيان على الطَّاولة وبدأ بالتهامِ القطعِ الصغيرة واحدةً تلو الأخرى بنهم شديد ونديم ينظر له ويراقبه بصمت وترقب شديدين، وما إن انتهى سفيان منهنَّ جميعًا حتى أسند رأسه للوراء فاقترب منه نديم قائلًا:

موتًا هنيئًا أيها البغيض، لقد صبرت خمس سنوات من أجل تلك اللحظة التي أراك تموت فيها وينتهي شرُّك، بالطبع أنت تظن أنَّك انتهيت للتو من قلوب الفتيات الثلاثة وكالعادة ينتصر الشر على الخير، ولكن يسرني أن أزفَّ لك هذا الخبر وصفَّق ثلاث تصفيقات بيده على إثر كل صفقة تقوم فتاةٌ وتقف من على الطَّاولة، اليوم تنقلب موازين حساباتك سفيان وينتصرُ الخير وتنتهي ظلماتك وعصورك المظلمة، اليوم سيعمُّ السَّلام والأمان على بلدتنا وتُشرق الشمس من جديد.

حاول سفيان الرد عليه ولكنه سقط أرضًا فور وقوفه لينحني نديم له قائلًا: السمُّ أقوى منك، مُت من غير سلامٍ مني.

ليطالعه سفيان والرُّوح تُغادره، ويخرج نديم ومعه الثلاثة فتيات خارج بيت الطاغي، ليتفاجأ بها تقف أمامه بعينين داميتين من كثرة البكاء، حاول تهدئتها لتقاطعه بصوتٍ متهدجٍ من كثرةِ البُكاء قائلةً: لم أفهمك يومها وظننتك خائفًا منه، لم يُخيَّل لي أنَّ للحديث بقية.

وضع نديم يده على فمها وقال: ولكنك الآن فهمتِ مقصدي، فلتغفري لي غيابي ولننعم بالحياة من جديد معًا، بلا طُغيان وبلا أشرار، وللأبد بلا سفيان.

تمت بحمد الله وبفضله

زينب فوزي عبد المجيد

تعويذات البعث

(جسد بلا روح أم روح بلا جسد)

-أمي، أنا أرى أروى تفعل أشياء غريبة.

-وماذا تفعل؟

-رأيتها وكأنها تتحدث مع أشخاص رغم أن الغرفة لم يكن بها أحد!

لاحظت الدُّموع في عين أمي وهي تقول:

- يا وليد، هي صغيرة وأنت تعلم أنَّ الأطفال في سنها يفعلون مثل هذه الأشياء.

-ولم تبكين يا أمي؟

-لا شيء يا ولدي.

ثم دخلت إلى أبي وهي تقول بصوت حزين:

-لم أعد أحتمل.

شعرت أنها تشتكي من تصرفاتي هذه، هذا أنا، وليد وشقيقتي أروى تبلغ من العمر سبعة أعوام، ولكن تفعل أشياء غريبه، أخبرتُ أمي أكثر من مرة ولكن لم تكترث لي، أخبرت أبي وكاد وقتها أن ينعتني بالجنون، هم لم يروا ما رأيت، لك أن تتخيل أن تدخل غرفة شقيقتك الصغيرة ليلًا فتجدها معلَّقةً على الحائط وعينيها تضيئانِ لدرجة تجعلك ترتعب خوفًا منها، كانت عيناها تشعَّان بالغضب، هرولت وقتها إلى أبي واخبرته بما رأيت فأسرع ودخل معي إلى غرفتها فوجدناها نائمه، كاد عقلي يجن بل يبدو أنني جننت بالفعل

، عزمت يومها على الحديث معها، أعلم أنها لا تعي ما يجري حولها ولكن كان لابدَّ وأن أجد تفسيرًا لهذه الأشياء، تتحدثُ مع أشخاص وتلعب معهم ولا وجود لهم من الأصل، أشعرُ أنها تنظر إليَّ أحيانًا بغضب فقلت لها :

-أخبريني يا أروى، من هم أعز أصدقائك؟

قالت وهي تبتسم: أنا أحب تال.

-ومن تكون تال هذه؟

-صديقتي يا وليد، هي تلعب معي كل يوم وتقول لي أنها لا تحبك، لا أعلم لماذا تكرهك.

-تكرهني أنا! ولماذا؟

-لا أعلم، أنت تُخيفها.

-هل رأيتها قبل ذلك؟

تبسمت وهي تلتفت خلفها وتقول:

-ها هي تقف عند الباب، هل رأيتها؟

نظرت إلى الباب ولم يكن هناك أحد:

-لا يوجد أحد عند الباب!

-كيف لا تراها؟

تعجبت قليلا ثم أخبرتُها أنني أراها ولم أكن أراها بالفعل، ولكن أردت أن أشعرها أنني أرى ما تراه، فقالت:

-أنت تكذب عليّ، هي أخبرتني أنَّه لا أحد يستطيع رؤيتها غيري، فكيف تراها أنت؟!

شعرت لحظات بدفءٍ خلفي، فوجدتها تقول: ها هي خلفك.

أغمضت عيني وابتلعتُ غصتي وأنا أقول:

- بالتأكيد كلُّ هذا من خيالي، أنت تعلمُ أنَّ الأطفال في هذا السن يرون أشياء لا وجود لها، كنت أقول هذا الكلام فقط لأطمئن نفسي، فسمعتها تقول:

- هي خرجت لأنك لم تسلم عليها.

شردت للحظات:

-ولكن ما العمل؟! هل سأظل هكذا أوهم نفسي بهذه الأفكار؟ ولكن كيف أثبت أن هناك أرواحًا شريرةً تمكث داخلها؟!

حتى هذا اليوم، وجدتها تشاهد التلفاز فاقتربت منها وتبين لي أنها تشاهد فيلم رعب، والفرحة تعلو محياها، قلت لها: ماذا تشاهدين يا أروى؟

لم تَكْترث لي وكأنَّنِي طَيْفٌ لا وُجودَ له، ويَا ليْتَها لم تلتفت، رأيتُ عينيهَا البَيْضَاوين تنْظُر إليَّ ثمَّ أغلقت التِلْفَاز، والضَّحكات المُخيفة التي ألقَت الرُّعبَ في قلبِي وأنا أقُول: ماذا بكِ يا أروى؟!

ظلَّت تقْترب منِّي وهي تُهَمْهِمُ بكلماتٍ لَسْتُ أفْهَمُهَا، شعرتُ أنَّ أحدًا مَا يقفُ خلْفِي وهو يقول: أنا لا أحبُّك.

وكَأنَّ جسدي قدْ تسَمَّرَ في مكانِه، العَرقُ بدأَ يتَساقَطُ منِّي، شعورٌ غيرُ مُريحٍ على الإطْلاق أن تَرى أُخْتك أمامك بهذا المنْظَر المُخيف ولا تسْتطيع أن تفعلَ لها شيئًا ولا أن تنظُر خلفك؛ لأنَّك لا تعلم ماذا ينْتظِرُك، حاولتُ الالتفات ولكِنْ نظرات أروى كانت كافية أن تجعلُك لا تُغْمض عينيك للأبد، قلتُ لها بصوتٍ عالٍ لعلَّها تفِيق: أنا وليد يا أروى، أجِيبِي عليَّ.

وقعت على الأرض فهَرْولتُ إليها ممسكًا بها وأجْلَسْتُها في فِراشها، كُنت أسمعُ أصواتًا تصدرُ من ناحية المطبخ، أرهَفتُ السَّمعَ وسمِعْتَهُم يقُولون:

- لن نترك المنْزل.

ويكررونَها، أسرعت وأقفلت الباب وجلست بجوارها وأنا قلقٌ عليها، كانت تتعرَّق بشدة وزادت حرارتها، أخرجت هاتفي واتصلت بأبي، يومها كان في العمل وأمِّي أيضًا قد سافرت البارحة والعجيبُ في الأمر أن والدي لا يتأخر في عمله إلى هذا الوقت!

اتصلت به وأخبرته أنَّ أروى مريضَة جدًا وحرارتها مرتفعة للغاية، أخبرني أنه سيأتي بعد ساعة ثم أغلق الهاتف، ظلَّت الأصوات تعلُو حتَّى أحسستُ أنَّهم سيحطِّمُون البَاب، احتضنتُ أروى فقط لأنَّني خائفٌ، لا أعْلم كيفَ ذهبتُ إلى النوم بهذهِ السُّهولة وفي هذا الوضع المُخِيف، وما إن استيقظتُ وجدتُ والدي يقول:

- صباح الخير يا وليد، هيا يكْفِى كلّ هذا النّوم أنا ذاهبٌ إلى العمل.

كنتُ في دهشة: عمل.. كيف هذا أنا جلستُ أنتظرُك، ومن أتى بي إلى غرفتي!

-ياوليد، أناأتيتُ من العمل متأخرًافوجدتُك متدثرًافي فراشِك، ثم ذهبتُ إلى غرفة أروى ووجدتها في حالةٍ جيدة، لم تكن مريضة كما أخبرتني ودرجة حرارتها لم تكن مرتفعة أيضًا.

لم أستطع الحديث وقتها، يا لهَا من أَرْواحٍ خَبيثة!! كيفَ لهَا أنْ تَفعلُ كلَّ هذا؟!

مرَّ اليوم بسَلام، وبالطَّبع أروى لا تتذكَّر شيئًا ممَّا حدث، وكأنَّني الوحِيد في هذا المنزل الذي يَرى كلَّ هذا، ولكن يا ترى من تكُون تال هذه؟!

جلستُ مع أروى حتَّى ترجع أمِّي من السَّفر، أخبرتُ أروى أنَّني أريدُ اللعب مع تال، كانت أروى جالسةً وعندما سمعتْ هذه الكلِمات انتفضتْ وهي تقول: هي تكْرهُك.

-ولِمَاذا يا أروى؟ أنا لم أفعل لها شيئًا.

-هي تكرهك لأنك لا تُحبُّها.

-طالما الأمر كذلك أريد أن أُصالحها.

تبسمت، ثمَّ ذهبت نحو الباب ببطء وهي تقول:

-هيا لنذهب إليها.

-إلى أين؟

-هي تسكُن في المنزل المجَاور لنا.

خرجتُ معها فأشارت إلى منزل قد هُجِر منذُ زمن، كنَّا ونحنُ أطفال نَحْكي بعض القصص المُخيفة حول هذا المنزل العجيب، تصميمهُ كان أيضًا غريبًا بعض الشيء، شكلهُ مثلَ المنازل التي نراها في أفلام الرعب، اقتربتُ معها من المنزل، كنت متوجسًا خيفة حتى سمعتها تقول: يبدُو أنها ليستْ هُنا.

-كيف علمْتِ أنَّها ليستْ في المنزل؟

- ألا ترى الباب مغلقًا؟

نظرتُ إليْهِ وكان مفتوحًا على مصراعيْهِ، وما إن التفتُ إلى أروى لم أجِدها بجواري! أين قد ذهبت!

لا أعلم ما الذي دفعني لكي أقتربُ من الباب، فكَّرتُ وقتها في أختي؛ لابدَّ وأنها قد دخلت دون أن أراها، حاولت الرُّجوع ولكن كيف أتركُ أروى هكذا، وما إن اقتربتُ من المدخل الرئيسي حتَّى رأيتُ النُّور قَدْ اشْتَعل في الشرفة وشقيقتي أروى تقف وشعرها مُنْسَدِل على وجهها، كانَت عيْنَاهَا جَاحِظَتَيْن، لم أستطع أن أتراجع فهي شقيقتي، كيف أتركها؟ صعدتُ الدرج ببطء فإذا بي أسمع صوتَ أحدٍ يغنِّي بصوتٍ جميل، دخلتُ متخوفًا فإذا بإمرةٍ جميلةٍ تجلسُ بجوار أروى وهي تغني لها، نطرتْ اليَّ» أروى «ثم قالت بحدة:

-لما أنت واقفٌ هكذا، اجلس.

كنتُ سأُجن، فكيف تعيش سيدة مثلها؟ هنا وأنا أعلمُ جيدًا أن هذا المنزل لم يُفتح منذُ سنوات؛ بالتأكيد أنا أحْلُم ويبدو أنه حلمٌ لن ينتهي!

جلستُ بالقُرب منها، وجدتها تُعطي أروى كتابًا تَقْرأه، تعجَّبتُ وأنا لا أدرك ما الذي يحدث فقلتُ لها: هي صغيرة لا تستطيع القراءة.

تبسمت ابتسامة جعلتني أرتعش: من قال لك هذا الكلام؟! هي تقرأ انْظُر.

وجدتُ أروى تأْخذ منها الكتاب، وبالفعل قرأت كلامًا غريبًا لم أستطع أن أُفسِّرُهُ، غير أنني شعرتُ أنها تقرأ تعاويذ، انتفض جسدي وشعرتُ برعشه فجائية قلتُ وقتها: لا يا أروى، لا تقرئي هذا الكتاب.

نظرتْ إليَّ وهي تراقب هذه السَّيدة وتجلس بجوارها، ثمَّ تبسمت أروى بابتسامة مريبة وهي تقول: أنا أقرأهُ كلَّ يوم، هو جميل، انظر.

وجدتُ صفحات الكتاب بيضاء ولا يوجد بها نقطةُ حِبر، ولكن ماذا كانت تقرأ!

قلت بصوت عالٍ: هيا يا أروى، لابدَّ وأن نذهب من هنا الآن.

وجدتُ تال تضحك بصوتٍ عالٍ وهي تقول: لن تخرج من هنا حتى تقرأ مثلها.

أمسكت بأروى أشدها بقوةٍ لتأتي معي فوجدتها تصرخ وهي تقول:

-لن أذهب معك.

-يا أروى، هؤلاء ليسوا مثلنا.

-وأنا أيضًا لستُ مثلك، تقول هذا لأنك تكرهها.

-أنا لا أعرفها حتى أكرهها.

-هي تال صديقتي.

التفت فلم أجد تال هذه، وما إن التفت لأنظر إلى أروى لم أجدها هي الأخرى، ما الذي يحدث هنا؟! هرولت ناحية الباب الذي أغلق بوجهي، وسمعتُ صوت هذه تال تقول: اقرأ تخرج.

وظلت تكررها، أغمضت عيني وأنا أقول: لابد وأنه حلم.

فوجدت أحدًا ما يمسك قدمي، شعرت أنه أسفل مني وخشيت أن أنظر إليه، لكن اللعنة على هذا الفضول الذي جعلني أختلسُ النظر إليه، فإذا برجلٍ عجوز شعرهُ أشعث مربوط بسلاسل من حديد، عينه تقطر دمًا، ظلَّ يقول:

-أخرجني من هنا.

أفلتتُ يده بقوة وابتعدت عنه وأنا أحاول أن أحطم هذا الباب اللعين فلم أستطع، وما إن التفتتُ لأنظر إلى هذا العجوز لم أجده، وعمَّ الظلام المكان، كاد قلبي يقف، ولكن ما هذا الصوت؟! هو صوت أروى، نعم أسمعها جيدًا تنادي عليَّ، ولكن لمَ تبكي؟! صحت قائلاً: اقتليني أنا واتركِي أروى، أرجوكِ.

سمعتُ صوتًا غريبًا يردُّ عليَّ قائلًا: اقرأ التَّعاويذ وخذ المفتاح.

ابتلعت غصتي من شدة الخوف وأنا أقول:

-ولكن أنا لا أرى شيئًا على الإطلاق، أين هذه التَّعاويذ؟

وجدتُ كتابا في يدي كنت ممسكًا به من البداية، كيف كنتُ أحمله وأنا أحاول تحطيم الباب؟! ما كان يشغل تفكيري وقتها وقتها هي أروى، أخشى عليها فلو أصابها مكروه لن أسامح نفسي لأنني السبب في مجيئها إلى هنا.

فتحت الكتاب، كانت حروفه غريبة، لا يبدو أنه مكتوبٌ باللغة العربية بل كتب بلُغةٍ لا أعرفها، فقلت: لا أستطيع قراءة هذا الكلام.

وجدت النور قد عاد والحروف قد تغيرت إلى كلمات تجمعت لتصبح

(أهب هذا الجسد إلى تال لتحيا من جديد)

ثم ظهر فجأة سطرٌ كُتب أمام عيني من العدم

(خذني إلى الجحيم واترك تال تحيا في النعيم)

ترددت أن اقرأه ولكن صوت بكاء أروى دفعني لأفعل ما تريد هذه الخبيثة، شممت وقتها رائحة شيءٍ يحترق فنظرت بجواري فإذا بالمنزل قد أضرمت النيران فيه، ألقيت الكاتب وأخذت أسرع نحو الأعلى لأبحث عن أروى فلم أجدها، ولكن رأيت هذه الشيطانة على حقيقتها وهي تقف أمامي وتضحك ضحكات متقطعة، ثمَّ قالت بصوت جَهْوَرِيّ أجَشٍّ:

-لقد وقعت على العقد، يا لك من غبي!

نزعت الخوف من قلبي وأنا أقول: أين أروى، اتركيها.

تعالت ضحكاتها وهي تقول:

-أروى قد ماتت منذ زمن بعيد، ولكن أنت لم تكن تعلم ذلك.

-أنت تكذبين على، أخبريني أين هي.

- ماتت منذ أعوام ودفنت أيضًا وأنت قد صدمت بموتها ومنذ هذا الحين وأنا أتجسد لك على هيئتها وأهلك أيضًا يتعاملون معك على أنها موجودة كما أمرهم الطبيب، ولكن الحقيقة أنها ماتت وأنت كذلك.

- أنا ماذا؟

-عندما قرأت التَّعاويذ جسدك أصبح ملكي الآن، ولن تستطيع أن تخرج إلا لو قمت بإحضار جسدٍ آخر إلى هنا، لا أخفى عليك سرًّا أنت المناسب لي فقد كنتَ في حالة من الاكتئاب تجعلني أسيطر عليك، وها أنا أخرج من هنا بفضلك.

وبينما هي تتحدث تصاعد الحريق إلى الأعلى ثمَّ اختفت، واختنقتُ أنا من رائحة الأدخنة ولم اشعر بنفسي إلا عندما أفقت وأنا أرى عربات الإطفاء تُحاوِل إطفاء المنزل، نظرت إلى الأسفل ورأيت شيئًا صدمني، من هذا الذي يأخذونه من بين الحريق؟ اقتربت منه فإذا به أنا! كيف أرى جسدي أنا لم أمُتْ؟!

صحت فيهم أن اتركوا هذا الجسد ولكن لم يكن يسمعني أحد، أرى جسدي يخرجون به من المنزل، نظرت من النافذة فوجدتهم يضعونه في عربة الإسعاف، حاولت الخروج من المنزل، ولكن ماذا يحدث؟ لا أستطيع أن أخرج؟ أشعر أن شيئًا ما يمنعني، حاولت كثيرًا ولكن لم أستطع، أرى الناس من النافذة وهو يقولون:

-هذا المنزل يشتعل كل يومين، ماذا يحدث بالداخل؟ وما الذي أدخل وليد إلى هناك؟

تذكرت كلمات تال:

(جسدك ملكي الآن، ولن تستطيع أن تخرج إلا إن أحضرت جسدًا آخر إلى هنا)

وأنا الآن سجينُ هذا المنزل منذ سنوات، في الحقيقة لم أفكر أن أجلب جسدًا آخر وأجعله يتألم مثلما تألمت، ولكن ما يجعلني لا أفكر بالخروج هي أروى شقيقتي، نلعب مع بعضِنا كل ليلة وهي سعيدة جدًا ولا تريد أن تخرج، علمت بعد ذلك أن تال كانت مغنية مشهورة جدًا وأتت روح شريرة فعلت معها ما فعلتهُ معي، واستطاعت أن تخرج هي إلى الحياة مجددًا.

(أرى أنها تحيا الآن جسدًا بلا روح، وأنا روحٌ بلا جسد)

- أخي لم لا أشعر بالنُّعاس؟

- لأننا في ثبات عميق يا أروى.

- وأين تال؟ لماذا لا تأتي وتلعب معنا؟

- لأنها تكرهنا.

تمت

كريم غباشي

الرَّجُل العثَّة

على الطريق ٢٦ في بوينت بليزنت بولاية فيرجينيا الغربية تشقُّ سيارةٌ سكون الليل و هي تتأرجح علي الطريق ذات اليمين و ذات اليسار لتنمَّ عن قيادة من شخص متهور مخمور ، ترتفع منها أصوات الموسيقي الصاخبة لتوقظ الحيوانات التي تسكن الأشجار التي تحيط بالطريق من الاتجاهين فتفر الحيوانات خوفًا من طيش ذلك المخبول، الليلُ يغلفُ السَّماء و يطليها بالسواد الحالك إلا من بعض الأشعة الصادرة من القمر على استحياء، على أفرع الاشجار تتدلى الخفافيش و هي تنظر للسيارة الطائشة في برود يشاركُها النَّظرات البوم مما ينبيء بليلةٍ أشد حلكة من سواد الليل.

بداخل السيارة ترتفع القهقهات و الضحكات الماجنة من ثلاثة شباب في مقتبل العمر لا يتخطى أكبرهم عقده الثالث، بيدهم سجائر تحتضن بداخلها قطعًا من المخدر و عدة زجاجات من الخمر، يتبادلون السباب و بعض النكات البذيئة والسخيفة أيضًا، يتقدَّمون في طريقهم إلى منزلِ أحدهم _القابع بالقرب من أحد مصانع المتفجرات المتخلفة من الحرب العالمية الثانية القريب من الطريق ٢٦_ لاستكمال سهرتهم الماجنة و التي ستنتهي بعلاقة شاذة بينهم كما هو المعتاد.

تسير السيارة بسرعة تفوق السرعة الجنونية و كأنها تتراقص على الطريق ثم تبطئ قليلًا بعد أن تهدأ نشوتهم قليلًا و تأخذ بعضهم إغفاءة ليستيقظوا قبل أن تصطدم السيارة بإحدى الأشجار ، ثمَّ تبدأ النشوة مرة أخرى مع أول أنفاس سجائر المخدر تلك فتبدأ السيارة تتخطي السرعة الجنونية، و هكذا كأنها دائرة أو رحلة سيزيفية ليس لها أن تنتهي، إلا أن الحياة ليست وردية كما يراها البعض فذلك اللون الوردي ما هو إلا ستار لمصائب تذهب العقل و تُلجم اللسان.

تقترب السيارة من مصنع المتفجرات ليلاحظ مارك نورًا أحمر ساطعًا براقًا يتلألأ فوق سطح بناية المصنع ليقرر أن يتخطَّاه فربما كان ذلك نتيجة تأثير الخمر و المخدرات علي عقله إلا أن ما لفت انتباهه هو أن ذلك اللون الساطع البراق يتحرك فوق سطح البناية، و كأن قطعتين من النور الأحمر -هذا إن وجد نور أحمر -تهيمان في الهواء لتلفتا انتباه مارك مرة أخرى ليأتيه صوت قائد السيارة جون قائلًا: انظر، هناك أنوار تتحرك فوق بناية المصنع.

كانت تلك الجملة كافية لتؤكد لمارك أنَّ ذلك ليس من نسج هلاوس عقله، إلا أن ثالثه حثَّهما على استكمال طريقهم و تركهم كل هذا وراء ظهورهم فقد اقتربوا من المنزل، ليستكمل كلامه قائلًا و هو ممسكٌ بعضوه الذكري: فلتسرعوا لأن أحدهم جائع جدًا.

ليضحك ثلاثتهم في إثارة و هم يلقون النظرات لمؤخرات بعضهم البعض، لكن ما لا يعرفه أحدهم أن الحياة تجهز ركلتها لمؤخراتهم قبل أن يستمتعوا بشيء آخر.

فجأة يسقط كيان يتشحُ بالسواد _ويتخطى طوله المترين، لديه عينان حمراوان شديدتا السطوع_ أمام السيارة فجأة ليفزع الجميع فيسرع جون قائد السيارة في الضغط على الفرامل في توتر عظيم لتتنحى السيارة إلى جانب الطريق و يهرع الثلاثة خارج السيارة لينظروا إلى ماهية ذلك السواد الذي هبط عليهم من السماء، ليفاجئوا بأن الطريق ساكن تمامًا إلا من نعيب البوم، لو كان أحدهم في وعيه لكان ذلك سببًا كافيًا لتدفق الرعب في القلب كتدفق الدم في العروق إلا إن ذلك كان سببًا لسيل من الضحكات الماجنة و هم يتجهون إلي سيارتهم لاستكمال بقية سهرتهم.

و بمجرد أن ارتقوا إلى مقاعدهم في السيارة و بدأت السَّيارة تتهادى على الطريق حتى قاطع صوت ضحكاتهم صوتٌ أشبه بصراخ النساء، العجيب في الأمر أنه صراخ حاد و كأنه صادر من عشيرة من النساء الطائرة، مهلا هل قلت الطائرة!!

نعم، فالصوت صادر من أعلاهم، الصوت يصدر من شيء ما في السماء، يخرج ثلاثتهم رؤوسهم من نوافذ السيارة ليروا مصدر ذلك الصوت المزعج ليصعق الجميع برؤيتهم ذلك الكيان الأسود ذو العيون الحمراء، إلا أن مارك لم تمضِ

ثوان على مشاهدته لذلك الكيان حتى وجد نفسه يطير في الهواء و مخالب قدم ذلك الكائن تنخر في لحمه، لقد التقطه الكائن في ثوانٍ معدودة من نافذة السيارة وسط دهشة الجميع و خوفهم.

كانت اللحظات الأخيره على مارك قاسيةً للغاية، مخالب ذلك الكائن تنخر في لحمه حتي كادت تصل للعظام و هو يطير في الهواء دون أن تأتيه مساعدة، ظلَّ مارك يصرخ و يصرخ حتي كادت أحباله الصوتية تنقطع لحينِ قرر الكائن أن ينهي معاناته لكن بمعاناة أكبر، لقد قبض بيديه على رأس مارك الذي لم يستطع رغم قربه الشديد منه أن يتبين ملامحه إلا أنه استطاع أن يميز جسده، جسده الغريب، جسد إنسانٍ فارع الطول تخرج من ظهره أجنحة عملاقة.

قام الكائن بشد رأس مارك عن جسده شدة عظيمة ليصرخ على أثرها مارك صرخة عظيمة تنقطع مع انقطاع رأسه عن بقية جسده، كان جون و توم في السيارة لا يريان شيئًا و الحقُّ أنهما كانا لا يريدان أن يريا ما يحدث فصرخات مارك كانت تكفي لترسم الصورة كاملةً لما يحدث، فقط الوسيلة الوحيدة هي زيادة سرعة السيارة لأقصى حد، و في لحظة وجد كلاهما رأس مارك تصطدم بزجاج السيارة الأمامي، تبًا، إنها الرأس فقط، إن الأمر تخطى تأثير المخدر، إن ما يحدث حقيقي مئة بالمئة، لقد انقلبت الأجواء من ضحكاتٍ ماجنة إلي دموع صارخة، كان الرعب يسري في عروقهما بغزارة حيث كان المشهد التالي أشد بشاعة؛ فقد رأيا عليضوء كشافات السيارة ذلك الكائن الأسود و هو يقف في منتصف الطريق أمامهما ويلتقط بعض القضمات من جسد مارك منزوع الرأس، إنه يمسك بجسد مارك و كأنه يمسك بدميةٍ صغيرة ويأكلها القضمة تلو الأخرى، صرخ جون و توم بعنف من هول المنظر و التفَّ جون بالسيارة ليغير من اتجاهها للاتجاه المعاكس و قرَّرا الاتجاه لمركز الشرطة القابع على مقربة منهم.

انشغل الكائن الأسود بطعامه و غنيمته و قرَّر ترك المغفلين الآخرين لحظهما العاثر، لينهي على جسد مارك عن آخره ويصبح عظامًا فقط بعد أن كان عظاما يكسوها اللحم، كان يأكل في نهم و تلذذ و كأنه يأكلُ أفخر أنواع الطعام.

تعجب جون و توم من توقُّف ملاحقة ذلك الكائن لهما إلا إنهما انتهزا الفرصة ليصلا لمركز الشرطة ويهرعا بداخله ليتلقاهما شرطي الاستقبال ويشرحا له ما قد رأياه في رعب و فزع حقيقيين، أخبراه ما كان من شأن صديقهما مارك و ملاحقة ذلك الكائن لهم و قدراته الخارقة، كان الأمر عصيًا على التَّصديق لكن الفزع البادي علي وجه جون و توم كان كافيًا لتوصيل رسالةِ الخوف كاملة، قرر الشرطي اتباعهما هو و اثنين من رجاله و ذهبا للمكان الذي شاهدا فيه الكائن يأكل صديقهما، و كانت المفاجأة بالنسبة للشرطي فقد كانت العظام تسبح في بركة من الدماء دون أن أي أثر للكائن، كان ذلك دليلًا كافيًا للغاية على صدق كلامهم فأي مخلوق ذلك القادر على فصل اللحم عن العظام بتلك السرعة فالدماء مازالت طازجة، التفت أحد أفراد الشرطة ليبحث حوله عن أي آثار للفاعل، ثمَّ نادى على بقيتهم و هو يشير بإصبعه و قد ألجم الخوف لسانه، لينظر بقيتهم و هم يرون قطعتين من الضوء الأحمر الوضَّاء تتحركان على سطح مصنع المتفجرات القديم ليصرخ توم و هو يتلعثم في الكلام: هذ.. هذا هو.. إنه هو ذلك الشيط... الشيطان.. لقد كان يرقد فوق بناية المصنع أيضًا قبل أن يحدث ما حدث، تلك العيون الشيطانية هي عيونه.

وقف جميعهم مصدومون مندهشون مما يرون، لقد بدأت الذكريات القديمة المتعلقة بذلك المصنع تحضُر للعقول، حكايات الآباء عن الوحش الأسطوري الذي يسكن ذلك المصنع المهجور، تري هل يكون هو؟ هل يكون حقًا الرجل العتة؟

لم يعطهم الشرطي الأعلي رتبة فرصةً للتفكير؛ لأنَّه قد قرر الانطلاق لذلك المصنع الملعون ليتأكَّد بنفسه فحكايات الآباء ما هي إلا خرافات، وقد مرت سنون عديدة دون أن يشاهد أحدهم ذلك الكائن الخرافي المزعوم، إنه لن يأخذ بشهادة مخمورين فربما هما من فعلا ذلك و يريدان تزوير الحقيقة.

انطلق و انطلق من خلفه الشرطيان الآخران، ثمَّ تبعهما توم و جون باتجاه المصنع، لم يكن المصنع بعيدًا عنهم فما هي إلا بضع مئات الأمتار وكانوا أمام بوابة المصنع، بدأ الشرطي في توزيع المهام، الشرطي رونالد يستكشف السطح، الشرطي سميث

يستكشف القسم الغربي، أمَّا هو فيستكشف القسم الشرقي، بالنسبة لجون و توم فقد قام بتقييدهما بالأغلال لضمان عدم تحركهما أو تدخلهما في مجريات الأحداث.

بدأت عملية البحث و الاستكشاف بعناية دون وجود أثر لأي شيء، المكان خالٍ تمامًا إلا من خيوط العنكبوت، و بعد نصف ساعة من البحث المدقق قرر الشرطي الأعلى رتبة – جاكوب- الانصراف بعدما زاد شكُّه في جون و توم فأعطى إشارته عبر جهاز اللاسلكي و خرج ليلحق به سميث دون أي أثر لدونالد، حاول التحدث معه مرة أخري إلا أن صرخةً شقت سكون الليل تلاها جسدُ دونالد يسقط من فوق البناية التي يتخطى طولها ستة أمتار ليسقط صريعًا لكن جسده كان مضجرا بالدماء ومليئًا بالجروح العميقة، بدأ التوتر يعلو الوجوه مرة أخرى فتلك الجروح لا تصدر عن شيءٍ طبيعي، إنها جروحٌ يمكنك من خلالها أن ترى العظم بوضوح دون أدنى جهد.

أخرج جاكوب مسدسه و أمدَّ دونالد بندقيته بالذخيرة، أعطى جاكوب الأمر لسميث بأن يستكشف السطح و يبلغه بكل جديد عبر اللاسلكي، تقدم سميث و هو يقدم قدمًا و يؤخر الأخرى، ينظرُ بحرص و حيطة حوله فهو الآن يواجه المجهول، يصل إلى السطح و يتلفَّت حوله ليجد آلاف العظام مختلفة الأشكال والأحجام؛ بعضها بشرية و بعضها حيوانية، تلك جمجمة أرنب و هناك جمجمة غزال بري تقبعُ بجانبها جمجمة بشرية، كان ذلك المشهد يكفي لتوقف نبض أحدهم، قرَّر أن يعُودَ أدراجه فهو لا ينوي أن يموت الليلة، إلا أنَّ للقدر رأي آخر.

ما إن التفَّ رونالد حتى وجده أمامه و كأنه يأتي من العدم، إنسانٌ طوله مترين، أرجله لها مخالب تفوق مخالب الأسود، أسنانه حادة قاطعة، يتشح بالسواد و كأنه مولودٌ من رحم الظلام، له جناحان عظيمان يفوق الواحد منهما في طوله مترًا و نصف، له عينان و كأنهما قبس من حمم البركان الملتهبة تشعَّان ضوءًا أحمر وضَّاءً يسلب العقل، لا يعرف سميث متى بدأت الغراب في النعيق و البوم في النعيب و مخالب ذلك الكائن تنخر في لحمه و يرتفع به الكائن في السماء في مشهد جدير أن تراه في أفلام الخيال العلمي، إن سميث يرى جاكوب

و توم و جون أسفله، يبدو أنه سيلقى مصير دونالد، هنا صرخ الكائن صرخة عظيمة كادت تصم الآذان ثمَّ أمسك بسميث بيديه و كأنَّه يصلبه في الهواء، أخذ يجذب يديه في اتجاهين متعاكسين حتَّى انفصلت يدا سميث عن جسده ليسقط على الأرض جسدًا بلا ذراعين وسط صدمة جاكوب و صراخ جون و توم.

كان مشهدًا مسرحيًا لأبعد الحدود، ذلك الكائنُ طائرٌ في الهواء، يفردُجناحيه كنسرٍ طليق يتشح بالسواد رغم سقوط أشعة القمر عليه، عيناه تطقان شررًا و كأنَّهما قطعتان من نار مستعرة، يمتزجُ صراخه بنعيق الغربان و نعيب البوم وسط نظرات باردة من الخفافيش وهي الشاهد الوحيد على حدوث ذلك المشهد الكلاسيكي، وعلى الأرض يستلقي توم و جون و أعينهما تذرف العَبرات بغزارة، و جاكوب الذي يحكم قبضته على مسدَّسه ليطلق الطلقة تلو الأخرى ويتفاداها ذلك الكائن بحرفية و مهارة شديدتين، إلى أن نفدت الطلقات من الخزينة المؤقتة للمسدس فابتسم ذلك الكائن في سخرية، و صرخ جاكوب: إنه حقيقي، إنه ليس بخيال، إنه الرجل العثة كما وصفه الأقدمون، ويلٌ للعالم من الخراب!

لينقض عليهم الرجل العثة في خفةٍ و رشاقة ويحاوطهم بجناحيه حتَّى يمنع هروب أحدهم، ثمَّ يبدأ في الهجوم عليهم؛ يضربُ ذلك بقدمه فتبتر ساقه، و يضع ذلك بين أسنانه فيقضم جزءًا من رقبته، و يمسك برأس ذلك فيفصلها عن جسده، وما إن انتهى من وليمته حتى ارتَفع في السماء محلقًا يتوسط قرص القمر، ثم أطلق صرخةً هائلة تصمت على إثرها بقية الكائنات و كأنَّها تخشى بطشه.

تمت

مَأزِق قطْ

لم يمر في حياتي ما هو أكثر رعبًا من تلك الأيام التي بدأت ببهجةٍ كالتي تظهرُ علينا في طفولتنا حينما تعود الكهرباء بعد انقطاع، كانت هي الأولى منذ سنوات مضت، لكن أعقبتها أيامٌ لم يكن قلبي ينبض فيها إلا بذلك الرعب العائم في داخلي والذي كان يأبى أن يفارق ذهني لحظة واحدة؛ فلم يكن يطاردني الخوف في أحلامي فقط، بل حتى في اللحظات التي أكون فيها غارقةً في خيالي وشاردة في عالمي الخاص كنت أرى هذا الخوف.

لكن من الجيد أني أدركت حقيقة هذا العالم الساخر الذي نعيش فيه، إنه لغز سوني، ربما تكون مجرد حكاية عن قط التقيت به في أحد ملاجئ الحيوانات الشاردة لكنَّه كان مختلفًا عن بقيتهم؛ فشعره الأبيض الناعم، وعيناه الزرقاوان يسحران كل من ينظر إليه، وهذه الضحكة التي لم أر مثلها على إنسان، تعجبت من وجوده هنا؛ فمثل هذا يتنافس الناسُ على شرائِه في مزادٍ أو ما شابه ذلك لكني عرفت بعدها أنه عندما جاء إلى هنا كان يتصرف بغرابة، وهو مصابٌ في عينه اليمنى ولم تختفْ ندبة الجرح إلا اليوم.

كنت أفوق بفرحتي هذا الطفل الذي أنهى امتحاناته لتوه فصار يرقصُ في الشارع فرحًا، دلفت إلى الحي ليستقبلني الصغار بتلك الابتسامات البريئة التي تعيد الحياة للموتى، وبمجرد وصولي للمنزل بدأت أمي تفجرُ ثورتها وتوبخني كأني لازلت طفلة في المهد، لم تهدأ حتى وعدتها أن القط سيبقى أمام الباب ولن يبيت في الداخل، بعد ساعات كنت قد احتضنتُ وسادتي غارقةً في أحلامي عن عالمي المبهر مع سوني.

في الصباح انبهر الجميع برؤية هذا القط وطفق إلحاحٌ هائلٌ من الجميع على شرائِه أو استعارته، لا يوجد داعٍ لكي أخبركم عن سبب رفضي للإغراء المستمر بالمال؛ فجنون الجميع وإصرارهم الرهيب للَّعب معه، والتقاط الصور الذي لن أبالغ إن قلت إنه استمرَّ لساعات كفيلٌ

لكي تدركوا سبب عدم التفريط في هذا الكنز، صرتُ أتولَّى أمر التصوير لوقتٍ طويل حتى عرض طفلٌ صغير أنه سيتولى ذلك الأمر بدلًا عني حتى غادر الجميع.

لكن في صباح اليوم التالي ظهرت بعض الجثث لكثيرٍ من القطط الضالة لقيت حتفها بالأمس، لم ينتبه لها أحد إلا بعد انتشار الرائحة بعد مرورِ يومٍ على مصرعها، وفي نفس اليوم قبيل الظهيرة سرى تحذير لكل من في الحي بشأن قطط أصيبت بالصرع وقامت بقتل هذه القطط الضالة؛ انتابني بعض الخوف على القط الجديد لكن أخبرني جاري قائلًا:

- لا خوف على القط طالما أنه بداخل القفص، كما أن هذه الأمور تمضي سريعًا.

حاولت أن أُقنع نفسي بكلماته لكن شيئًا ما يخيفني، وعلى الرغم من ذلك لم أصنع شيئًا حيال ذلك القلق الذي يطاردني بدون مبرر مقنع، الغريب أن هذه الحوادث لم تنته بل كانت تزداد يومًا بعد يوم دون اهتمام من أحد، منذ متى ونحن نهتم لحياة لأولئك البشر المشردين في الشوارع، فكيف لنا أن نتهتم بحيوانات تموت؟

بل إن أكثر من واحد كان يتمنى لو أن هذه القطط هاجرت الحي بأي ثمن ولا يهم طبيعة الوسيلة التي تجبرهم على الخروج؛ فهؤلاء لا يفقهون شيئًا عن النظام البيئي، هؤلاء لديهم إدمان الذهاب إلى الهاوية في سبيل معيشتهم برفاهية، ازدادت الأزمة سوءًا شيئًا فشيئًا كوعاء الماء المغلي، في كل لحظة تتبخر أعدادٌ كبيرة من أرواح القطط التي لا تجد مأوى؛ لتهاجر في رحلة إلى عالم غريب عن عالمنا لا يميز بين القطة التي أكلت بقايا الطعام وبين القطة التي تأبى أن تأكل الأنواع الرخيصة من الجبن.

لم أدرك فظاعة الأمر حتَّى خرجت ذات يوم قبيل الغروب لأشم رائحة الجيف منتشرةً في كل مكان، لم أخط سوى بضع خطوات خارج العقار حتى شاهدت قطة مسكينة غارقة في بركة من الدماء إثر قطع أوعيتها الدموية في منتصف رقبتها وأسفل إبطها وفخذها، تجاهلت المنظر من فظاعته لكن كان الوضع مخيفًا، فقبل أن تخطو قدمي ما دون المترين وجدتُ قطًا آخر غارقًا في دمائِه،

ألقيت ببصري على طول الحائط لأجد بين كل متر قططًا ضالةً صغيرة قد أصيبت بجروح غائرة والدماء تغطيها من كل مكان حتَّى أني لم أميز رأسها عن مؤخرتها.

شعرت بالاشمئزاز وكدت أفقد وعيي عندما تخيلت الألم الذي عانت منه هذه القطط قبل الموت، لعلَّ بعضكم لا يعرف خطورة فقد الدماء من الجسد؛ فالأمر يبدأ بثقل في الحركة وسرعة في التنفس، ثم فقدان الوعي، وإذا استمر الوضع ففي خلال لحظات يتم وضع الختم بجانب تأشيرة الخروج، باختصار لقد امتنع الأطفالُ عن اللعب في الشارع؛ فلقد كان الحي يشبه إلى حد كبير بيت الرعب.

الغريب أنه لم يقدم أحد على انتشال هذه الجثث المتراكمة كأننا لن نصاب بأمراضٍ هائلة من تحلُّل هذه الكائنات، إن الأمراض التي كانت تسببها وهي حية لن تكون شيئًا يذكر أمام الأمراض التي ستنجم عن تعفنها.

عدت مسرعة إلى المنزل؛ فلقد نسيت السبب الذي جعلني أخرج إلى الشارع، وأنا أحاول إقناع أمي ببقاءِ القط داخل قفصه في المنزل وليس خارجه، لكنها خيبت أملي بالرفض غير المبرر، وخلال خمسة ليالٍ كانت الأمور تزاد سوءًا يومًا بعد يوم، وفي كل ليلةٍ كنتُ أستيقظ في ساعاتٍ متفرقة بعد منتصف الليل على أصوات صراخ بعضها خافت لدرجة جعلتني أظنه مجرد إزعاج ليلي معتاد تُحدِثُه القطط كل ليلة، لكنَّ بعضها كان صاخبًا لدرجة أفزعتني من نومي كأني رأيت كابوسًا مخيفًا في منامي، كانت هذه الأصوات تزيد من قناعتي بخطورة المأزق الذي وقع فيه القط في هذا الحي حتَّى فكرت في نقله خارجه حتى تنتهي هذه الأمور.

لتنتهي خمسة أيام على بداية حوادث القتل الغامضة بإعلان جارةٍ لي مصرع هر رضيع ولد منذ أيام، كانت امرأة عقيمةً هجرها زوجها ولم يؤنس وحشة وحدتها سوى تربية القطط؛ لنُصدمَ بعدها جميعًا بأن شوارع الحي نظيفةٌ تمامًا من أي قط ضال حي، لم تبق سوى قطط المنازل المرفَّهة، خاف البعض بينما صرح واحد بكل جدية بأن هذا يدل على أن القطط المصابة بالصرع قتلت بعضها البعض، وأن شوارعنا باتت نظيفة تمامًا من هذه

القطط المزعجة وسوف تتجول قططنا في الحي بدون خوف من الأمراض.

تعجَّب الجميع وأظهر بعضهم اقتناعه بهذه الهراء، أمَّا أنا فلم أكن لأقتنع بشطر كلمة مما قيل؛ فمما لا شك فيه أنه واحدٌ من الحمقى المؤيدين لفكرة قتل المريض الميؤوس من شفاءه توفيرًا لأموال الدولة التي تدفع ثمنًا لعلاجه فتجاهلت كلامه وفكَّرت في حماية القط بحيلة ما، أدخلت القفص خلسة إلى الشقة، ثم وضعت كاميرا للمراقبة متصلة بهاتفي أمام الشرفة التي ربما يدخل منها شيء، وتمكنُني من مراقبة صالة الشقة جيدًا.

وأثناء الليل عندما قاربت الساعة الواحدة والنصف بينما كنت أحتضن وسادتي في خوفٍ جلي سمعتُ صوت اهتزازِ باب الشرفة، لكني لم أجد شيئًا غريبًا يظهر على شاشة الجوال حيث كانت صالة الشقة فارغة تمامًا، بعدها بقليل سمعت صراخًا يأتي من الخارج، كان صراخ هر يصرخ كأنما يصعقه أحدهم بصاعق كهربائي، ثمَّ تبعه أصوات صراخ قطط من جهاتٍ مختلفة ومع كل صرخة ترتجفُ روحي وتهتز، حتَّى أنه راودني شعور بأنني أهوي من أعلى السطح عدة مرات، وأحيانًا كنت أسمع صوتًا غليظًا يشبه أصوات الوحوش، لم أدر هل كان من داخل عقلي الباطن أم أني حقًا أسمع صوت الوحش الذي يقتل القطط؟

لم أهتم ؛ فقد أدركت أن خوفي تجاه سوني كان صحيحًا؛ مكثت عيناي تراقبان الشرفة من شاشة الجوال حتى مَضت نصف ساعة غفوت فيها قليلًا لأفيق على صوت اهتزاز باب الشرفة مجددًا، قفزت من السرير دون محاولة واحدة للنظر في الجوال لأجد نفسي مقابل باب الشرفة لكني لم أجد شيئًا، كان المكان خاليًا فقررت الاطمئنان على سوني، في كل خطوة أقترب فيها من القفص يزداد خفقان قلبي حتى أن دوي دقات قلبي كاد يهز جدران الشقة، وعندما فحصت القفص لم أجده بالداخل فبدأت أنفاسي تتعالى بينما بدأت عيناي تذرفان قطرات من الدموع، تنهدت في خوف شديد وأضأت هاتفي ووجهت شعاع الضوء في أرجاء المكان حتى وقعت عيناي عليه راقدًا بسَّكينة بجانب المنضدة، أخذته وأغلقت عليه القفص دون أن يخطر بذهني أن أتساءل عن كيفية خروجه منه.

في اليوم التالي انتشرت أخبار عن مصرع عدد من قطط المنازل، لم يكن بالعدد الكبيرة مقارنةً بالأيام السابقة لكنَّه تجاوز نصف قطط المنازل، كانت أغلبها في العقارات غير الفاخرة ولم يصب سوى بضعة قطط داخل عقارين فاخرين، بعضها كانت لجاري والذي انهارت زوجته من البكاء عقب إدراك مقتل الصغار المروع.

بدأت التحذيرات لكن بصورةٍ أقوى عن أي مرة سابقة والتي استمرت حتى زوال الشمس بضرورة إغلاق الأبواب، وفي الليل لم أبدل ثيابي بثياب النوم؛ فقد اتخذ قراري بالتربص بهذا القاتل انتقامًا لهذه الأرواح البريئة ولأكون صادقة كان ذلك حماية لسوني.

دقت الساعة الواحدة والنصف وبدأ خوفي يزداد، وبين أصابعي أعتصر عصًا معدنية، لم أرد النظر في شاشة الهاتف لمراقبة الوضع؛ فقد فضلت أن أنصت لمصدر الصوت ثم أنقضَّ عليه بمجرد سماعه لكن كان الأمر صادمًا؛ فمع صوت الاهتزاز قصدت الباب فوجدت قطًا يهربُ من الشرفة، ظننت أنه أتم ما جاء لأجله لذا لم أتردد لحظة وأنا أسحب برقع أختي لأضعه على وجهي حتى لا يتساءل أحد عن سبب تواجدي بالخارج في هذه اللحظة.

كنتُ كالبلهاء؛ فقد كنت أنوي الفتك به قبل أن يهاجم قطًا آخر، خرجت إلى الشارع في خطواتٍ واسعة أخطو في كل اتجاه لأدقق في شرفات العقارات والمنازل حتَّى سمعت صراخ قطٍ كان يبدو أنه قط كبير وقوي، توجهت بدون تردد أسفل الشرفة، وكانت نيتي أن تكون هذه الفريسة الأخيرة لهذا الوحش لكن لقد سقط قطَّان من أعلى الشرفة وصارا يتقاتلان بشراسة كبيرة لأنظر في صدمة هائلة.

_يا إلهي، إنه سوني، لا يزال حيًا.

توجهت لأُخلِّصه من قبضة هذا المجرم لكن فاق الأمر توقعي؛ فلقد كان سوني أقوى بكثير وسدَّد له بضع ضربات بمخالبه أودت بحياته، اتَّجهت إليه لأحمله لنعود معًا إلى المنزل لكنه رمقني بنظرة غريبة كانت عيناه ممتلئتان بالشر، أصدر ذات الصوت الذي سمعته بالأمس فتملكني الرعب، لقد كانت عينه اليمنى مخضبة بالدماء كأنه مصابٌ بها، نال الخوف مني بصورة كاملة،

لكني حاولتُ أن أستعيد رباطة جأشي مجددًا وسرعان ما لاذ بالفرار ليقفز إلى شرفة أخرى.

عدت مسرعةً إلى البيت لأتأكد أنه بالفعل سوني وليس مجرد هذيان مصطنع من عقلي الباطن حزنًا لمقتله.

لم تكن بالصدمة الكاملة عدم وجوده داخل القفص ولا داخل الشقة بكاملها، كان مجرد نزع لجزءٍ كبير من الشك من داخلي؛ فلا زال ذلك الصوت في داخلي يردد ربما ليس سوني لكنَّ نزع الجزء الأخير حين قمت بمراجعة فيديو المراقبة من هاتفي، والذي أظهر سوني وهو يدخل ويخرج من الشرفة في نفس لحظة الاهتزاز؛ ليتبخر ذلك الصوت من داخلي ويتحول إلى صوتٍ آخر يحثني على فعل شيء لردع هذا الوحش.

لم أكن أهتم كثيرًا بكيفية خروجه أو دخوله من القفص فلقد كان علي أن أتخذ قرارًا ينقذ باقي القطط، لكني كنتُ أخاف الخروج في هذا الوقت مجددًا؛ لذا قررت انتظاره وقتله بالعصا الحديدية داخل القفص فلا شك أنه سيعود فمن المستحيل أنه تعرف عليّ وأنا أرتدي البرقع، عندما دخل إلى قفصه أسرعت بإحكام إغلاقه وإضاءة المصابيح ومن ثم أدخلت العصا من الشَّبكة الموجودة أعلى القفص لكنها أخفقت فلم تسقط فوق رأسه، حاول الخروج من القفص بسرعة لكني زدت من إحكام الباب بيدي الأخرى ليرمقني بنظرته التي كانت تنمُّ عن سخرية غير مبررة كأنه يقول:

- لا فائدة من قتلي الآن أيتها الحمقاء.

لم أتردَّد لحظةً وأنا أسقِطُ العصا مجددًا، ثمَّ أعقبتها بعدة ضربات وأنا أضغطُ على أسناني؛ لتنتهي حياة هذا الحثالة، لكن هل حقًا هذا بلا فائدة؟

في الصباح أدركت كم تأخرت فلقد انتهت حياة القطط داخل الحي، كنتُ أتجول في الحي غير قادرةٍ على النظر في عيون النساء والأطفال اللذين تلاشت

من وجوهم الابتسامة البريئة وعمَّ الهم إثر هذه الحوادث، ولا زلت حتى يومي هذا أشعر بأني من قتلتُ البهجة في قلوب هؤلاء، كأني من أغلقت مفتاح الكهرباء.

ولكن هل أدركتم أنتم حقيقة عالمنا؟ هل لا زالت الأنانية تقطن داخل عقولكم؟

هل تصرُّ على انتظار دخولك قائمة المتضررين من المشكلة حتى تتخذ شيئًا جادًا للتخلص منها؟

وهل لازلت تعتقد أن القطَّ الخاص بك في مأزق ويعاني من الخطر، أم أن الأبرياء هم من يعانون من خطر هذا القط؟!

تمت

عبد الله محمد عبد الله

ليلةُ المنتَصفِ منْ مَارِس

أَنا خالد الجعفراوي، ماجيستير إرشاد وصحة نفسيَّة، لا يُخيَّل إليكم أنني طبيب نفسي؛ لأنَّ كل علاقتي بالطب النفسي تقتصر على تشخيص الحالة فقط، أحيانًا أتطرق إلى العلاج من خلال جلسات إرشاد للمريض، وأحيانًا أخرى أُحيل الحالة إلى طبيب نفسي أكثر خبرة مني لا سيَّما حينما يقتضي الأمر وصف أدوية أو مهدِّئات؛ باختصار حينما تكون الحالة أكثر تعقيدًا مما تبدو عليه فالأمانة المهنيَّة تُحتِّم عليَّ أنْ أُحيل كل حالة إلى حيث تنتمي، ومن هُنا تبدء حكايتي فعندما تدُقُّ ساعتي العاشرة بالتمام أرسلُ سكرتيرتي إلى منزلها، ومن ثمَّ أرتدي بزتي التي تنتظرني دوام يوم كامل مُعلَّقة على الشماعة حتى أنتهي من مرضايْ، ثمَّ أتهيَّأ للخروج بعدما ألتقط مفتاح سيارتي، منزلي ليس بقريب من مقرّ عملي كما أنه ليس ببعيد أيضًا، أحيانًا قد تُكلِّفني المسافة مقدَار نصف ساعة إذا كنتُ مُسرعًا بما فيه الكفاية وعندما أؤثْرُ التأني فالأمر يستغرق من الزمن ساعة إلَّا ربع، لكن تلك الليلة كان هناك شيئًا غريبًا، شيئًا غامضًا ليس بمفهوم، كانتْ ليلة مطيرة رغم أننا أوشكنا على توديع الشتاء بل كنا أقرب منه للصيف.

ليلة المنتصف من شهر مارس، السماء ترعدُ والبرق يهتف بعنفوان، يَسقط الماء كِسفًا ويسيلُ على الأرضِ فائضًا ولا أحد يسير في الشارع، لا مارَّة ولا أناس، فقط أنا وهدير أنفاسي المتجمِّدة بفعل ما أراه وصوتُ محرِّك سيارتي الذي يشاطرني خوفي، تركتُ المقوِّد لبرهة ولا تزال قدماي تضغطان على دوَّاسة البنزين في حين أنَّ كلتا يديَّ تتشاطران مهمة إشعال سيجارة، ما لبثتُ أن أشعلتها حتى سمعتُ صوت حطام، من أينَ أتى، لا أعلم، هل كان نِتاج حادث بشري؟

لا أدري، ما الخسائر المُتكبِّدة؟! ليس لديَّ أدنى فكرة

كل تلك الأسئلة سألتها لنفسي وأنا لا أزال في سيارتي، ورغم أنَّ ذاك الصوت جاءني من الخلف البعيد على أقل تقدير من مسافةِ خمسة أمتار إلا أنني تراجعتُ بسيارتي قليلًا لأكشفُ عن مُلابسات الحادث، عتمة الظلام كانتْ حائلًا بيني وبين الرؤية؛ لذا تركت مصباح السيارة الخلفي مُضاءً وكذلك الأمامي ونزلتُ وأنا أقبض بمعصمي على جوَّالي بعد أن أضأتُ مصباحه، وإذ بسيارة ليستْ مكشوفة تمامًا بفعل التصادم مُحطَّمة من الأمام، قد غطَّتها شُجيرة ضخمة، لا أعلم إذا كان ما بداخلها من أشخاص أحياءً أم أمواتًا لكنَّ الحادث لا يوحي بالتفاؤل.

لففتُ حول السيارة يمينًا ويسارًا لعلِّي ألمح طيفًا لمنْ هم بداخلها لكن ما من طائل، أخرجتُ هاتفي سريعًا وبدأتُ أطلب الإسعاف، ثمَّ انتظرتُ في سيارتي إلى حين وصولهِ، لا أدري كم من الزمن مرَّ وأنا أنتظر، أرى فقط أمامي بعد أن استفقتُ المزيد من الأشجار الساقطة في الشارع، المياه الغامرة إثر العاصفة الرهيبة، المحلَّات ما تزال مغلقة من الأمس، المارَّة لا يزالون مفقودين، أنا وحدي وسيارتي من نُعمِّر تلك المدينة، الشجرة العجوز لا تزال مقسومة نصفين لكن ما من سيارة ولا حادث مفتعل، ما من زجاج متناثر على الأرض وما من دماء تسيل، كأنَّ أحدهم نوَّمني لكي يُمحو آثار الحادث، شرعتُ أتحسَّس جبيني لعلَّني مرضتُ أو أصابتني حمى وكعادتي أُهلوس، جبهتي باردة مُثلجة وكذلك كفيَّ، إذًا لستُ بمريض، هل كنتُ أحلم؟

كلَّا؛ لأن كل شيء يبدو حقيقيًا.

هل تأثرتُ سلبًا ببعض مرضاي؟!

ربما، أدرتُ محرِّك سيارتي وذهبتُ إلى أقرب صديق لي، أحمد الرافعي، صديقي منذ الطفولة لكنه الأكثر خبرة مني فهو طبيب نفسي ليس مجرَّد مرشد مُوجِّه، قرعتُ الجرس وأنفاسي تلاحقني كشُرطي يُهرول خلف لص، فتح لي صديقي واستقبلني بترحابٍ شديد، ثم تساءل لماذا أنا بالخارج في مثل ذلك الجو:

إنها لم تكف عن المطر طوال الليل، وكأنها علامات الساعة، لقد خُيِّل لي للحظة أنني في القطب الجنوبي ولستُ بمصر.

هكذا حادثَني، بينما شردتُ منه لثانية، احتواني تفكيري، إذًا ما أنا فيه ليس هلوسات، إنه شيء بعيد كل البعد عن الاكتئاب الحاد أو حتى الفصام، الأمر لا يشبه أي مرض نفسي، شبح ابتسامة حينها ارتسم على شفتيَّ وقابلتْه عيناي بوهجِ فرْحة في مقلتيَّ، سرعان ما زالتْ تلك السعادة وتبدَّدت حينما سألني:

- لماذا خرجتُ باكرًا، لقدْ طفتُ كل أرجاء الشقة بحثًا عنكَ.

- ماذا؟، بحثًا عمَّن؟

بُهتُّ كما لمْ يحدث من قبل، كيف يعني أنه بحث عني، هل كنتُ أبيتُ لديه؟

إذًا متى خرجت؟!

لا أذكر، ألمْ أذهب لعيادتي بالأمس؟! ألم أستقبل تلك المرأة المدعوة رشيدة؟!

إنها عجوز خرِفة تظنُّ في كل لحظة أنَّ أحدهم يراقبها، وأن ذلك الشخص ما هو إلَّا زوجها الذي أشعل النيران بجسده منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، الطريف في الأمر أنني أعالج تلك المرأة بجلسات إرشادية منذ ما يقارب ثلاثة أعوام، وخلالهم حاولتُ مرارًا وتكرارًا إقناعها بأنني لستُ طبيبها الصحيح، كم نصحتها بالتحوُّل عني إلى طبيب أمراض نفسية لكنها عازمة على أن يُتمّ شفاؤها على يديَّ، كم هي بلهاء ألا تعلم أنَّ لكل قطعة معدن حدَّادها الذي يحسن طيَّها والتعامل معها.

اِلتقطت هاتفي كي أُناقش جدول أعمالي اليومي مع سكرتيرتي، بعد أن استأذن صديقي إلى المطبخ لكي يحضر لي شيئًا خفيفًا أطعَمه، بدأتُ بالسلام فور أن أجابتْ ثمَّ سرعان ما لاحظتُ تغيُّرًا في صوتها: لماذا تلك البحَّة في صوتكِ؟

كان يجب أن أتساءل لكن جوابها أخرسني، لا سيَّما بعد أن قالتْ:

- أَلَمْ تخبرني أنتَ أنني بحاجة إلى الراحة التامَّة حتى يزول ذاك البرد وإلَّا سأُصاب بالتهاب رئوي حاد؟!

لا عجب أنني معالج بارع في مجالي إذا كنت أتحلَّى بتلك السماحة مع سكرتيرتي، لكنني لا أتذكر أيًا ممَّا تتحدَّث عنه، متى أخبرتها بذلك؟ ومتى سمحتُ لها بعطلة؟! إنني أتعجَّبُ من حالي، أنهيتُ الحديث معها، ثمَّ فتحتُ التلفاز في محاولةٍ مني لتشتيت رأسي قليلًا، وإذ بخبر يُبَث عن البلدة التي ضربها الإعصار منذ ثلاثة أيام أو ما يزيد، ولم ينجُ منها أحد، ما تزال الأنقاض قائمة فوق الجثث، ولا يزال هناك مفقودين، كنتُ أُتابع بانسجام حتى حملقتْ عيناي في اسم تلك البلدة، لم تكن إلا بلدتي التي أعيش فيها، رُحتُ أربط الأحداث ببعضها البعض، ما رأته عيناي من حادث، وجودي في منزلِ صديقي الذي لا أتذكَّر عنه أي شيء، حديثي حول مرض الفتاة الذي لا أعلم متى جرى، هل كل ذلك من قبيل الصدفة؟!

دخلتُ إلى المطبخ حيث صديقي فوجدته يقف مُمسكًا بمقلاة وضعها على النار وينتظر نضج البيض فيها، بينما على يساره وضع طبقًا كبيرًا نصفه شرائح من البيف والنصف الآخر شرائح جُبن أبيض بجوارها بضع حُبيبات من الزيتون الأسود، تحدَّثتُ إليه بغتة وأنا أقول:

- ألديك علم عن الأخبار التي تُبثُّ في التلفاز؟

أومأ برأسه دون أن يجيبني؛ فعدتُ أقول:

- لا أذكر أي شيء، أشعر أنني غريب الأطوار كأنني متُّ ثمَّ عدتُ، أما كان ذلك الإعصار بالأمس؟! لِمَا يُحرِّفون الأمر على أنه منذ ثلاثة أيام؟

لم يجبني للمرة الثانية، كأنني تائه في مملكة الغرباء وأتحدَّث بلغة لا يفهمها أحد، أو كأنني فأر في حقل تجارب مُنِعَ عليه الخروج إلى أرض الواقع، صرختُ به كي يحادثني فإذا بطنين في أُذنيَّ كقاتل يحاول أن يطرحني أرضًا،

أضع يديَّ على كلتا أُذنيَّ محاولًا منع ذلك الصوت من إلحاق الأذى بي أكثر، باءتْ محاولاتي بفشل ذريع، ولم يخمد ذلك الصوت في أُذني بل ازداد حدَّة حتى أصابني بصداع رأس، وبعدها لا أدري أين انتقلتُ، ظلام دامس غلَّف الأجواء، غُرفةٌ عُلِّقتُ بداخلها، لمْ أدرِ حينها هل هي ثلاجة الموتى أم ماذا؟

هل وجهي أصابته زرقة الموت، هل انتفختُ؟

أما تزال ملابسي عليَّ أم أنهم انتزعوها لكي يُغسِّلوني، لكن أين الملكان؟

أين رقيب وعتيد؟!

مهلًا أنا حتى لم يقبضني أحد بعد؛ إنَّه صوت صديقي يخترق أذني يتساءل مع آخر حول ما أصابني، أيُعقل أن يكون طبيبًا؟!

- لا تقلق، أنتم الأطباء النفسيين أكثر عرضة للإصابة بالاضطرابات النفسية، لا بد أنه تأثر سلبًا فقط بأحد مرضاه.

كانت تلك الجملة التي التقطتُها من فم ذلك الشخص الذي لم أُتحقق من ماهيته بعد، ولم أطَّلع على هيأته حتى، فقد كانتْ الصورة بالنسبة لي أشبه بسونار لمريضة بداخلها جسم غريب ولا تعلم كُنهه حقيقة إن كان جنينًا أم مسخًا بشريًا أم شبحًا، فكل ما يخرج في تلك الصورة عبارة عن مُجسَّم مُعقَّد التركيب كما أنه مُشوَّه تتوقَّف عنده كثيرًا، خرج كلاهما وتحاملتُ على نفسي لكي أرى مجهول الهوية الآخر علَّه هو الآخر يكون صديقًا منسيًا في الذاكرة ولا أدري.

بعد أن فركتُ عينيَّ مرارًا ارتسمتْ الصورةً جليَّة أمامي فقمتُ من فراشي أُلاحق الأمر، وإذ بي أرى رجلين يتخلَّلهما فراغٌ من الدَّاخل، لا توجد أحشاء ولا قلب، ليس أي شيء يظهر سوى عظمٍ بالي، ربَّما لو لمستَه لتحوَّل إلى حُطام، والجمجمتان فارغتان، توقفتْ قدماي عن الحراك لوهلة وأنا أنظر لانعكاس الصورة الجلي أمامي في مرآةِ الصالون، كيف لم أنظر في تلك المرآة قبلًا؟!

لكنني لستُ مثلهما، نعم أنا الوحيد الحقيقي بينهما، إنه وجهي المكسيّ لحمًا، وتلك رأسي، لا يزال لديَّ شعر، إنني أتحسَّسه بيدي، جمجمتي ليستْ ظاهرة؛ لكنَّها في محلها إذًا أنا بشري، فمن هؤلاء؟! هل رحل صديقي وحلَّ محلَّه ذاك الشبح، وحتى الطبيب الذي يرافقه شبح، شرعتُ أُقلِّب كفيَّ وأنا أتساءل عمَّا سيحدث بعد الآن، وأنا الذي لم أؤمن يومًا بوجودهم، فكيف بقيتُ وسطهم؟! وإلى أين سينتهي بي الأمر؟!

تمت

زينب محمد علي

العملاق

تعود رحاب من عملها في منتصف الليل في أغلب الأحيان فهي ممرضةٌ في إحدى المستشفيات الخاصة وأغلب ورديَّاتها ليلًا، رحاب فتاةٌ جميلة في منتصف العقد العشرين، بيضاء، ملفوفة القوام، تمتلك أنوثه تجعلها تتربع على عرش النساء بكل سهولة ومع ذلك فهي طفلة من داخلها، لها قلبٌ أبيض وأحاسيس مرهفة.

في هذا اليوم تحديدًا أثناء عودتِها من العمل وفي طريقها إلى البيت أوقفها اثنان من البلطجية ملامحهما توحي بالشر، نظراتُهما لها جائعة تشبه نظرات الوحش المفترس لفريسته، انقبض قلب رحاب من شده الخوف وارتعش جسدها، خاصةً بأن الشارع في هذا التوقيت لا يمر منه أحد، تجرأ أحدهما وشدَّها بعنف من يدها ليجذبها نحوه، حاولت المقاومة ولكن لا جدوى من هذا فقَد قام الآخر بسحب سلاحٍ أبيض من جيبه وأشهَرَهُ في وجهها قائلًا: امشي معانا من سكات بدل ما أدبحك، وكده كده محدش هيحس بيكي، ده احنا في حتة مقطوعة.

قالت رحاب بتوسل: أبوس إيديكم سيبوني في حالي.

فرد الآخر بثقةٍ مبالغ فيها: بقول لك إيه يا موزة، انتي كده كده بتاعتنا النهارده، فتعالي معانا بالذوق بدل ما تيجي غصب عنك.

بكت رحاب بحرقه وظلت تصرخ بقوة: الحقوني يا ناس، أنا في عرضكم.

تعامل معها البلطجية بمنتهى العنف لكي تطاوعهما وتذهب معهما إلى الجحيم، في هذه اللحظة العصيبة ظهر شخص من الظلام وكأنَّه سقط من السماء لينقذ هذه الفتاة في محنتها، شابٌ عملاق، ضخم الجثة، يشبه أبطال المصارعة الحرة، ملامح وجهه قاسيه وكأنها منحوتة ببراعة، نطَق هذا العملاق بصوت أجش قائلًا: سيبوها وامشوا بدل ما أدفنكم مطرحكوا.

تعلقت نظرات رحاب بهذا العملاق فهو الآن طوق النجاة بالنسبة لها، ابتسم لها العملاق لتشعر بالاطمئنان ولكن هذا الاطمئنان تلاشى سريعًا خاصةً حينما رد أحد البلطجية عليه قائلًا: لو قربت خطوة واحدة هدبحك.

ثمَّ أشارَ إليه بالسكين الأبيض من بعيد كحيلةٍ لزرع الخوف داخله، اقترب منهما العملاق بخطوات واثقة فانهال عليه أحدهما بالسكين ولكن لا جدوى من هذا فتلك الطعنات لم تؤثر فيه وكأنَّ جسده من الفولاذ، السكين لم يكد يدخل جسده حتَّى انكسر سلاح السكين إلى نصفين، وقبل أن يتلاشى أثر الصدمة من ملامح البلطجي قبض العملاق بيده اليمنى على رقبته ورفعه إلى أعلى وظلَّ يضغط بيده حول رقبته حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، ثمَّ أطاح به في الأرض وهو جثه هامدة حولها بركةٌ من الدماء تحت قدم رحاب التي ألجمها الخوف وظلت تبكي بلا صوت وهي صامتة محتضنة شجرة صغيرة بجوارها، أمَّا البلطجي الثاني فقد هرب من بداية المعركة لينجو بحياته من الموت.

اقترب العملاق من الفتاة الخائفة ثمَّ قال لها بصوته الأجش: يلا امشي، متخافيش هفضل متابعك من بعيد لحد ما توصلي البيت.

ابتسمت رحاب له ثم قالت: بجد مش عارفة أقول لك إيه؟!

رد عليها قائلًا: لو عايزة تشكريني بجد يبقى لازم تتعلمي ازاي تحمي نفسك.

ثمَّ انصرف بعدها قبل حتى أن يسمع ردَّها، وطبعًا لم تتحمَّل رحاب أن تقف لحظةً واحدة بجوار البلطجي وركضت إلى البيت بأقصى سرعة.

استيقظ عبد الحميد مفزوعًا على صوت طرقات عنيفة على باب الشقة، لم يستيقظ عبد الحميد وحده وإنما استيقظت زوجته وابنته حياة، وقبل أن يصل عبد الحميد إلى باب الشقة ليعرف من الطارق كسر المعلم علوان باب الشقة واقتحم البيت هو ورجاله دون استئذان ودون مراعاة حرمه البيت.

علوان رجلٌ عجوز في العقد السادس ولكنَّه يمتلكُ جسد شاب في العقد الثالث يتمتع بصحةٍ جيدة، علوان بلطجي أتى إلى هذه العذبة منذ أكثر من أربعين عامًا ليختبئ فيها من الحكومة خاصةً أنَّه تورط في جريمة قتل، وأصلُ الحكاية أنه دخل شقة امرأه عجوز تعيش بمفردها ليسرقها ثم تفاجأ بوجودها أمامه فقتلها قبل أن تصرخ وهرب إلى العذبة ومنذ هذه اللحظة لم يخرج من العذبة، علوان شرسٌ ودموي ويحكم هذه العذبة منذ عشرات السنين، يحكمها بالحديد والنار والكل يخشاه ويخافه، كلمته أمر وعلى الجميع السَّمع والطاعة دون مناقشه أو حتى تفكيرٍ في الأمر، علوان ظالم ولكنَّه قانونٌ يخضع له الجميع فهو قضاؤهم وقدرهم وعليهم تحمله سواء بالرضا أو بالإجبار.

سأله عبد الحميد بخوف: في حد يا معلم يخش بيوت الناس بالطريقة دي؟!

نظر علوان ناحيةَ حياة المختبئة خلف أبوها بود، ثمَّ قال لأبوها: كل بيوت العزبة بيتي، أدخلها في الوقت اللي أنا عايزه.

فرد عبد الحميد عليه قائلًا: البيوت لها حرمة يا معلم علوان.

قال علوان بغضب لينهي الحديث: هتجوزني حياة ولا لأ؟

صمت عبد الحميد قليلًا، ثمَّ نظر إلى حياه ابنته، نظر إليها نظرة أب يتعاطف مع ابنته، أب يمكنه أن يضحي بنفسه في سبيل إنقاذ ابنته من التعاسة حتى ولو على حساب حياته نفسها.

أعاد علوان سؤاله بإلحاح على عبد الحميد حيث قال: خلصني، هتجوزني حياة ولا لأ؟!

رد عبد الحميد بخوف: لأ يا معلم علوان، لو جوزتها لك أبقى حكمت عليها بالإعدام.

صرخ علوان في وجهه قائلًا: صرصار زيك يقول لي لأ، ده أنا أهرسك تحت جزمتي.

قال عبد الحميد معاتبًا: عيب الكلام ده يا معلم علوان.

فرد علوان بقسوة: من النهارده ملكش مكان في العزبة.

فسأله عبد الحميد: يعني إيه؟

فقال علوان بصيغه الأمر: هتخرج أنت ومراتك وبنتك من الحارة، مش هترجعوا لها تاني.

فسأله عبد الحميد بخوف: طب وبيتي اللي في الحارة؟

فصرخ علوان في وجهه: ملكش في العزبة بيوت، ده بيتي أنا.

استسلم عبد الحميد لأمر علوان تحت راية الخوف، وطلب من زوجته وابنته حياة أن تجمَعا ملابسهم في الحقائب حتى يتركوا البيت بلا عودة.

فقال علوان بحسم: هتخرجوا من هنا باللبس اللي عليكم، سيبوا كل حاجة مكانها.

بكت زوجه عبد الحميد بحرقة ثم قالت: حسبنا الله ونعم الوكيل فيك يا علوان.

ضحك علوان ثم قال بغرور: حسبني يا ولية زي ما انتي عايزة.

وقبل أن يغادر عبد الحميد وأهله اقتحم العملاقُ البيت بثقةٍ مبالغ فيها، نظر له علوان بشزر ثم سأله: أنت مين؟

فرد العملاق بحدة: أنا فتوة الضعيف وناصر المظلوم.

ضحك علوان، ثمَّ قال باستهزاء: طب غور من هنا، بدل ما أخلي رجالتي يرموك من الشباك.

انقض العملاق على علوان واحتضنه بقوة وظل يضغط على ظهرة بعنف وعلوان يتألم ويصرخ كالنساء، التف صبيان المعلم حولهما وظلوا يضربوا العملاق على ظهرة بالشوم والأسلحة البيضاء ولكن لا جدوى من كل هذا،

الشوم والسلاح الأبيض ينكسر على ظهر العملاق وكأنَّه زجاج، مازال العملاق يضغط بقوة على ظهر علوان، مازال علوان يصرخ كالنساء حتى انقسم ظهره ولفظ أنفاسه الأخيرة فتركه العملاق ليهوي على الأرض جثةً هامدة ليصبح عبرة لكل ظالم، التفت العملاق لصبيان المرحوم علوان، ثمَّ انهال عليهم باللكمات والركلات فصرخوا كالنساء، ثمَّ ركضوا خارج البيت مستسلمين بإصابات بالغة.

وفي النهاية عاد البيت إلى أصحابه عبد الحميد وأهله ليعيشوا في أمان بعد موت علوان، وقبل أن ينصرف العملاق من البيت أوقفه عبد الحميد قائلًا: أنت رحمتنا من الذل وكسرة النفس، رجعت لنا حقنا من بوء السبع.

رد العملاق بحزم: أنت راجل طيب يا عبد الحميد بس عيبك إنك ضعيف، لازم تبقى قوي علشان تقدر تحمي بيتك وأهلك.

تخلَّت حياة أول مرة عن صمتها حيث قالت: أنت أنقذت أهل العذبة من ظلم علوان.

ابتسم لها العملاق، ثمَّ قال: لما واحد يبقى عمره ستين سنة عايز يتجوز واحدة عمرها ٥١ سنة غصب عنها وعن أهلها، ده يبقى حيوان ولازم يموت.

خرج العملاق من العزبة ونظرات الأهالي متعلقة به بإعجاب، تصفيقٌ حاد من الرجال، زغاريدٌ متتالية من النساء ليودعوا هذا البطل الذي أنقذهم من الجحيم المخلد (علوان).

اقتحم مجموعة من المسلحين مولًا شهيرًا بالتجمع الخامس، عشرات الأشخاص ملثمين محملون بالأسلحة النارية احتجزوا أكثر من خمس مئة مواطن، أشهروا أسلحتهم النارية في وجوههم، ثمَّ أطلقوا النار بشكل عشوائي في الفراغ فخضع المواطنون دون أدنى مقاومة، القلوب توقفت عن النبض من شدة الخوف، الأجساد ارتعشت من الرعب، الألسنة الجمت من شدة الظلم.

وقفت عشرات من سيارات الأمن المركزي تحاصر المول، انتشر رجال الأمن المركزي في كل مكان منتظرين لحظه الاقتحام، وقف اللواء عماد البسيوني بأعصاب مضطربة وفي يده مكبر طالبًا من مجموعة المسلحين الاستلام وفك أسر الرهائن، ولكن نداءه لا قيمه له فقد أصبح شيئًا يثيرُ ضحك الملثمين وكأنها نكتةٌ سخيفة.

فجأة ظهر العملاق من الفراغ، اقترب من اللواء عماد البسيوني ثمَّ قال له بصوته الأجش: محدش فيهم هيسمع لك.

سأله اللواء بحدَّة: أنت ازاي دخلت هنا؟! وعايز إيه؟

رد العملاق بحزم: أنا فتوة الضعيف وناصر المظلوم.

صرخ اللواء في وجهه قائلًا: غور من وشي، احنا مش فاضيين لك.

لم يهتم العملاق بأوامر سيادة اللواء وركض ناحية المول غير عابئ بأوامر رجال الشرطة بالرجوع حتى لا يؤذي نفسه، وقف العملاق أمام بوابة المول عندما أوقفه أحد الملثمين شاهرًا مدفعًا آليًا في وجهه حيث قال: لو قربت خطوة واحدة هقتلك.

اقترب منه العملاق مستهترًا بتحذيره مما استفذ الملثَّم فدفعه ليطلق عليه طلقةً من مدفعه الآلي مصوبة في رأسه ولكن الطلقة لم تخترق رأس العملاق وكأنَّها أطلقت على عمود خرساني، وقبل أن يفيق الملثَّم من صدمته انقضَّ عليه العملاق ورفعه لأعلى وكأنه طفل رضيع ثم هوى به بعيدًا ليسقط على الأرض مغشيًا عليه، ركض العملاق داخل المول فصوبت عليه مئات الطلقات النارية من فوهات عشرات المدافع الآلية ولكنَّها أبت أن تخترق جسده، وكأنَّ جسد هذا العملاق مخلوق من الفولاذ وليس من اللحم والدم كباقي البشر.

انهال عليهم باللكمات والرَّكلات، هناك منهم من أصيب بكسور وهناك من فرَّ هاربًا ليقع فريسةً في قبضة رجال الشرطة حتَّى وصل في النهاية إلى رأس الأفعى وزعيم العصابة عزت الحاوي، ذلك الرجل الذي يمتلك قلبًا من الصخر، رجلٌ لا يعرف شيئًا عن الرحمة، القتلُ هو اللغة الوحيدة التي يفهمُها ، عزت

يعمل في كل شيء ضد القانون، مشهورٌ في بؤر الفساد بلقب ابن الشيطان، صفحتُه الجنائية مسجلٌ فيها عشرات الأحكام الجنائية من قتلٍ وسطوٍ مسلَّح، جرائم خطف، وهناك العديد والعديد من الجرائم، حُكم عليَّة غيابيًا في العديد من القضايا والتي يصل مجموعها إلى أكثر من خمس مئة قضية.

وقف أمامه عزت بملامح جامدة وعيون يقفز منها الشر وقلب لا يخشى أحدًا حتى الموت نفسه حيث قال له بصوت أجش: نفسك في إيه قبل ما تموت؟!

فرد العملاق باستهزاء: وأنت بقى هتعرف تموتني يا عزت؟

رد عزت بحدة: الله يرحمك يا عم فاندام.

ثم صوَّب مسدسه ناحيته وأطلق علية العديد من الطلقات والتي لم تؤثر في العملاق ولم تخترق جسده أبدًا، انقضَّ عليه العملاق وقبض على رقبته بيده اليمنى وضغط عليها بقوة فحاول عزت أن يتملص من قبضته ولكن لا جدوى من هذا، العملاق يضغط بيده على رقبته وعزَّت يختنق حتَّى لفظ أنفاسه الأخيرة.

العملاق يحرر رقبته فيسقط عزت على الأرض جثةَ هامدة، وينظر له العملاق بحدة ثمَّ يقول: لكل ظالم نهاية.

ينتشر رجال الشرطة في المكان لتأمين المواطنين، يقتربُ اللواء من العملاق ثمَّ يقول له بكل هدوء: أنا بعتذر عن الطريقة اللي كلمتك بيها، بس بجد أنت راجل من ضهر راجل.

ابتسم العملاق ثم قال: لازم الخير ينتصر في النهاية.

ثمَّ انصرف من المول بعدما رسم السَّعادة والأمل على وجوه المواطنين، وصنع لنفسه في أعينهم تمثالًا لذاته يكسوه الاحترام والتقدير.

تركَت رحاب العمل في المشافي بعد أن نجاها الله من محاوله الاغتصاب، وعملت بعدها في محلٍ شهير لبيع الأنتيكات، كانت تتعجب في البداية من زبائن المحل الذين يشترون أشياءً لا قيمه لها في هذا العصر بمبالغ باهظة، وكانت دائمًا تقول: رزق الهُبل على المجانين.

وتعتبر هذه المقولة تفسيرًا علميًا لما يحدث حولها، وفي إحدى الأيام أحضرت مدام هايدي صاحبه المحل لوحة صغيرة لتضعها وسط هذه الأنتيكات وطلبت من رحاب أن تضعها في مكانٍ مميز في المعرض حتى يلمحها كل زبون يدخل المحل، اقتربت الفتاة من اللوحة لتضعها في المكان المناسب فرأت شيئًا غريب لم تصدقه في البداية، اللوحة تحتوي على صورة العملاق الذي أنقذها من براثن البلطجية اللذين حاولوا اغتصابها، تفحَّصت اللوحة أكثر من مرة للتأكد بأنه هو العملاق وليس شخصًا يشبهه خاصةً أنَّ اللوحة مرسومة بالزيت، وفي النهاية آمنت بأنه هو البطل الخارق.

اقتربت من مدام هايدي وسألتها: حضرتك تعرفي الراجل اللي في اللوحة؟!

ضحكت هايدي ثم قالت: هو صحيح شكله يخوف بس بطل بمعني الكلمة.

فعلقت رحاب: أنا عارفة إنه بطل.

ثم أشارت إلى اللوحة وأردفت: الراجل ده أنقذني من شويه بلطجية كانوا عايزين يغتصبوني.

اندهشت هايدي من حديث الفتاة، ثمَّ قالت: أنقذك ازاي؟! الراجل ده مات من خمسين سنة.

انصدمت الفتاة من حديث هايدي وظلَّ فمها مفتوحًا لأكثر من دقيقة، ثمَّ قالت بعدها: مات ازاي من خمسين سنة؟!

صمتت هايدي قليلًا، ثمَّ قالت بهدوء: أنا عندي في البيت الكتاب اللي بيحكي عن قصه حياته، بكره أجيبه معايا علشان تتأكدي.

أعادت رحاب السؤال عليها مرةً أخرى: مات ازاي؟

ردت هايدي بهدوء: حصلت حريقة كبيرة في دار أيتام وطبعًا كان في أطفال كتير جوه الدار مش عارفين يخرجوهم، خصوصًا إن النار حاوطت الدار من كل مكان، الناس اترحَّمت عليهم قبل ما النار تاكلهم، وفجأة ظهر العملاق دخل الدار في وسط النار خرج الأطفال كلهم عايشين، وبعد كده دخل تاني خاف لحسن يكون في أطفال تاني محبوسين وسط النار، بس للأسف دخل ومطلعش.

قاطعتها رحاب بنبرة حزينة: مات!

اردفت هايدي قائلة: هو الوحيد اللي النار كلته، بعد ما أنقذ كل الأطفال من الموت.

بكت رحاب رغمًا عنها وقالت: الله يرحمه!

ثم أمسكت اللوحة التي تحمل صورته وقالت بجدية: أنا هشتري اللوحة دي بأي تمن.

ابتسمت هايدي وقالت: خلاص اللوحة بتاعتك، ودي هديه مني.

ثمَّ احتضنت رحاب وبكت معها.

(كن إيجابي سيتغير العالم من حولك للأفضل)

تمت

محمد السيد كامل

المجهول

بينما أنا أقف أمام مدرستي بعد انتهاء اليوم الدراسي أنتظر صديقتي حتى تخرج لأني لم أذهب إلى المدرسة اليوم، مع العلم أني أدرس في الصف الثاني في المرحلة الثانوية على الرغم من أني تجاوزت التاسعة عشرة من عمري، نظرًا لظروف عائلتي لم أستطع أن أتمَّ تعليمي في ميعاده، لكن بعد وفاة والدي قررت أن أُكمل بجانب عملي وأحاول قدر الإمكان أن أوفق بينهما، رنَّ هاتفي برقم خاص فتعجبت، من الذي سيهاتفني من هذا الرقم؟

أجبت: ألو.

لا يوجد رد، لم أسمع إلا صوت الهواء، كِدتُ أن أغلق لكن فاجأني صوتٌ عميق ارتعدت له أوصالي قائلًا:

-أول مرة تلبسي اللون ده، طول عمرك مش بتحبي اللون الأحمر.

انتفض جسدي رعبًا، نظرت حولي لكني لم أجد شيئًا، الشَّارع كان فارغًا، خفق قلبي بعنف مع همسة صوته وهو يقول: أنا واقف قدامك.

شعرتُ بقلبي سيتوقف في تلك اللحظة، ارتجف جسدي بشدة وأنا أنقل بصري هنا وهناك، لا أرى سوى الفراغ، حاولت أن أُخرج صوتي فلم أستطيع، أشعر بوجود أحدٍ ما لكني لا أراه.

-مش هتشوفيني، على الأقل دلوقتي، بس لازم تبقي عارفة إني راجع قريب.

أُغلق الخط فسقط قلبي مع جملته الأخيرة، أخذت أتساءل: من يكون؟ كيف يراني وأنا لا اراه؟ ولماذا يتكلم معي أنا؟

لم أستطع أن أتمالك نفسي وأنتظر أكثر، وجدت نفسي أركضُ بسرعة غريبة حتى وصلت منزلي، ودخلت إلى غرفتي سريعًا واختبأت أسفل غطائي وجسدي يرتجف من الخوف، في صباح اليوم التالي تناولت الإفطار مع والدتي، دلفت إلى غرفتي لاستذكار دروسي، لا أستطيع أن أنتبه لشيء منذ ما حدث بالأمس، لم أستطيع أن أتمالك أعصابي وأجمع شتات نفسي من الخوف، لم يسعفني عقلي أن أُحدِّد إن كان ما يحدث حقيقةً أم خيالًا.

مرَّت ساعة، بدأ النوم يداعب جفوني، لم أنم جيدًا البارحة فقد هاجمتني الكوابيس طول الليل، وشعور أن هناك أحدًا معي بالغرفة، كان يمتلكني ويسبِّب لي فزعًا شديدًا، غفوت قليلًا ولم أشعر بنفسي إلا ويدٌ حانيةٌ تمسح على شعري الأسود، وأنفاس حارقة تداعب رقبتي، غرفتي كانت صغيرة، بها فراش متوسط الحجم، وكومود صغير وإذا شعرت بوجود أحد في الغرفة فهو موجود.

انتفضت من نومتي وقفزتُ من مكاني بسرعة، وضعت يدي على شعري بتعجب ونظرت حولي لكني لم أجد شيئًا، رن هاتفي من جديد فتناولته من على سطح مكتبي ويداي ترتعشان ولا أدري سبب تلك الارتجافة، أجبت وأنا ألتفت حولي برهبة: ألو.

-شعرك لسه حلو زي ماهو، متغيرش.

كنت أتنفس بصعوبة، صوتي خرج على هيئة همس على الرغم من محاولتي لجعله قويًا: أنتَ مين؟!

- هتعرفي في الوقت المناسب.

صوته كان عميقًا، نبرته مميزة، كأني أعرفه، ابتعد صوته ولم أسمع إلا الرياح الجامدة عبر الهاتف.

شعرتُ بشخص ما يمر من خلفي سريعًا، اصطدم بالكوب الموضوع على المكتب فسقط وتحطم، التفت فلم أجد شيئًا سوى أثر الماء على الأرض.

- بسم الله الرحمن الرحيم، إيه اللي حصل ده؟

جلست أتحدث مع نفسي، وأفكر طوال الوقت فيما يحدث معي حتى غرقت في النوم بسبب الإرهاق، ولم أحلم بشيء.

بعد مرور ثلاثة أيام لم أر فيهم شيئًا لدرجة أنني نسيت الموضوع تمامًا، شعرت بالراحة حتى ذلك اليوم الذي كُنت أجلس فيه أراجع بعض دروسي، تناهي لمسمعي صوت طرقات بسيطة على زجاج النافذة، نهضت واقتربت منها ببطء، فتحت الستار لأجد على الزجاج رسمةً بلون أبيض، اتسعت عيناي بدهشة فقد كانت الرسمة عبارة عن قفص صغير، وعصفورة تطير بعيدًا عنه كأنها تحررت لتوها، نسيتُ أن أخبركم أني أحب الرسم، وتلك الرسمة دائمًا كنت أرسمها في أوراقي، ابتسمتُ رغمًا عني ولاحت في عقلي ذكرى قديمة رغم اندهاشي، ارتفعت أناملي بدون أن أشعر لألمسها لكنَّها اختفت!

انتفضتُ وعدتُ للخلف خطوتين، تمتمت بآيات القرآن وأنا أضع يدي على صدري الذي كان يعلو ويهبط، جلست على مكتبي مرة أُخرى وفتحت الكتاب، دقات قلبي كادت أن تُسمِع الجيران بسبب ما رأيت مكتوبًا بداخل كتابي بشيءٍ أشبه بالدماء وخط مرتجف «راجع قريب»، والرسمة التي وجدتها منذ قليل على زجاج نافذتي!

نهضتُ بسرعة وخرجت من الغرفة ركضًا باتجاه أمي التي كانت تجلس في غرفة المعيشة، جلست بجانبها ولم أتحدَّث، انتبهت إليَّ عندما رأت علامات الخوف تسكن ملامحي، فقالت: مالك يا هديل وشك أصفر كده ليه؟!

حركت رأسي بشرود، ولم أدرِ بماذا أخبرها، أنا شخصيًا لا أفهم!

مرت الأيام، أشياءٌ مريبة تحدث، أسمع صوتًا يحدثني في الليل وأهمس في أذني أنه سيعود، الصوت دائمًا ما يكون بعيدًا، مبهمًا، لكن إحساسي يخبرني أني أعرفه جيدًا، جاء عيد مولدي، عدت من عملي ودلفت لغرفتي لأجد «شنطة هدايا» اقتربتُ بسرعة وفرغتها لأرى ما بداخلها، وجدتُ دفترًا صغيرًا عليه رسومات

كرتونية لفيلمي المفضل، وألوانًا متعددة و»اسكتش رسم» تعجبت من الأمر!

والدتي لم تعترف يومًا بحبي للرسم ولا تعتبره فنًا من الأساس، بل دائمًا تخبرني أنه مضيعة للوقت، مستحيل أن تجلب لي هذه الاشياء!

نظرت بداخل الحقيبة مرة أخرى لأجد بها زجاجة عطر «رجالي»، نوعه مميزٌ وكنت أعرفه جيدًا، أنتقل بصري تلقائيًا إلى «التسريحة»، فوقها كان يوجد أربعُ زجاجات من نفس النوع!

مرَّت عليَّ دقائق وأنا انظر بصدمة، لا أستطيع أن أفهم ما هذا!

اتخذت قراري أن أقصَّ على أمي كل شيء، وبالفعل جلست معها وبدأتُ أسرِد عليها كل ما رأيته، انقبضَت ملامحها وأخذت تستعيذ بالله من الشيطان، وقالت: لازم نروح لشيخ.

-شيخ إيه بس يا ماما.

-يا بنتي ما هو الأصل اللي بيحصل ده مش طبيعي ولازم نشوف حل.

-وهو الدجال اللي هنروح له هو اللي هيشوف الحل.

-بس متقوليش دجال، ده شيخ معروف بيشفي بالقرآن.

-إيه يا ماما، خلاص خلتيني ملبوسة؟!

-بعد الشر عنك يا بنتي مقصدش، بس لا يكون بسم الله الرحمن الرحيم حاجة وحشة، ما انتي لو بتسمعي كلامي ومتقفيش قدام المراية.

جلست طوال الليل أفكر فيما قالته أمي، أيعقل أن يكون هذا؟!

مجرد التفكير في الأمر اقشعر جسدي، استعذتُ بالله من الشيطان وقررت أن أُصلي وبعدها خلدت إلى النوم، استيقظت في اليوم التالي وذهبت إلى المدرسة، مرَّ اليوم الدراسي سريعًا ولم أشعر به بسبب شرودي، لدرجة أن اليوم انتهى

ورحل الجميع ماعدا أنا، انتبهتُ وخرجت من المدرسة والشارع فارغ، يبدو أنَّ الوقت سرقني، مشيت قليلًا وعندما وصلت لمنتصف الشارع وجدتُ نفسي أتوقف رغمًا عني، كأنَّ هناك من يسيطر علي، اشتدت الرياح من حولي على الرغم من أنَّ الجو كان حارًا، تطايرت خصلات شعري أمام وجهي، أعدتها للخلف وأنا أرمش بأهدابي طويلًا كما أفعل دائمًا كلما شعرت بالتوتر، تقدمت خطوتين وإحساسي يخبرني أنَّ هناك عيونًا تراقبني، سيطر علي شعور أنني لست بمفردي، جسدي كان يرتجف بدون سبب، رنينُ هاتفي بنفس الرقم فانتفضت، أصبحت أمقت صوته، نغمته تفزعني، لا أدري لمَ فتحت الخط لكن هناك شيءٌ يجذبني.

لم يقابلني سوى الصمت، كنتُ عاجزة عن الكلام رغم الصوت الداخلي الذي يحثني على التحدث، وكانَ شيء آخر يمنعني، كأنَّ بداخلي رجلان كلٌّ منهما يريد شيئًا وأتمزق أنا بينهما، كل ما أسمعه الآن صوت أنفاسه وأشعر بها على وجهي كأنه معي.

-أنا فعلًا موجود.

انقبض قلبي وارتجف داخلي، ثقل لساني فعجزت عن الرد، سجنت الكلمات بداخلي كأنها تسلسلت بأغلال حديدية.

- لسه معرفتنيش!

- لا.

خرج صوتي ضعيفًا يكاد ألا يسمع، وانغلق الخط، لم يعد لدي قدرة على الوقوف، سقطت على ركبتي، جسدي ينتفض خوفًا ورعبًا، أشعر بروحي تكاد تخرجُ من جسَدي، حاولت أن أنظم أنفاسي وأسيطر على تلك الرجفة التي تملكت من جسدي، وعقلي الذي يعمل بسرعة دون توقف.

من يكون؟ لماذا يتحدث معي أنا بالذات؟!

كيف عرف عني كل هذه الأشياء؟ أيعقل أن يكون هو من وضع الهدية بغرفتي؟

كيف دخل المنزل؟ ومن أين علم بنوع العطر الذي كان يفضله؟!

حركت رأسي يمينًا ويسارًا بقوة، تمالكت نفسي ونهضت لأعود إلى بيتي، لن أذهب للعمل اليوم، لم تعد لدي طاقة لفعل أي شيء، وصلت إلى بيتي، وخلدت في النوم من كثرة تعبي وخوفي وهاجمني حلمٌ لا أستطيع نسيانه.

أقف في شارع المدرسة وشخص مجهول يقف أمامي، ملامحه مبهمة، دققت النظر في وجهه لكني فشلت في معرفته، كان ينظر إلي ونظرته كانت غريبة لم أستطع تفسيرها، تحدث، صوته بدى مألوفًا، صوت الشخص الذي يطاردني:

- خايفة مني!

- أنتَ مين؟!

- حد كان عايش جواكِي، معقول نسيتِي!

لم أجد إجابة ولا أقدر على التفكير، كأني أصبحت عاجزة، صورته بدأت تختفي تدريجيًا وغرق المكان في الظلام، اختفت الطمأنينة التي كانت تسكن بداخلي وعاد الخوف من جديد، انقبض قلبي وشعرت بشيءٍ ما يتحرك، الرؤية كانت منعدمة، وشعرت بكفين يلتفان حول رقبتي وتخنقاني، ألم شديد يجتاحني، كأنني أحترق، وصوت بعيد يخبرني أنها نهايتي، سأموت!

لا، لقد استيقظت، تنفست الصعداء وأنا أتمتم بحمد الله، لكن هناك وجعًا كبيرًا في رقبتي، نهضتُ بتثاقل من فراشي، اتكأت على الجدار حتى وصلت للمرآة، اتسعت عيناي بصدمة وبدأ نفسي يخرج بصعوبة، رفعت يدي ولمست رقبتي، مظهرها جعلني كِدتُ أن أفقد وعيي فرقبتي كانت محترقة، وكان الحرق يظهر جيدًا على بشرتي البيضاء؛ تشوشت الرؤية أمامي حتى سقطت مغشيًا علي.

مر أسبوع آخر ولم يحدث به شيء سوى أنني لم أعد قادرة على النوم بسبب الكوابيس والأصوات التي تطاردني يوميًا، بعد ما حدث قررت والدتي أن نذهب لذلك الشيخ سريعًا خاصةً أن الحرق مازال في رقبتي، توصلت أمي لعنوان الشيخ، كان يدعى الشيخ إبراهيم، حددنا يومًا وذهبنا بالفعل.

عندما وصلنا جلسنا بالخارج ساعتين حتى نستطيع الدخول، كان هناك الكثيرون ينتظرونه، جاء دورنا ودخلنا له، المكان لم يكن كما توقعته إطلاقًا، في الحقيقة أنَّ الأفلام رسخت في عقولنا أننا سندخل مكانا مرعبًا تنقبض له القلوب وترتعد له الأوصال، ولكن العكس هو ما حدث معي، المكان كان مريحًا للأعصاب، حتى رائحة البخور كانت رائعة، كانت غرفة متوسطة الحجم، بها إضاءة خفيفة لكنها كافية لترى أمامك جيدًا، كان الشيخ إبراهيم يجلس على وسادة دائرية وأمامه طاولة صغيرة وضع عليها البخور.

جلست أمامه وسألني ما الذي يؤرقني، وبدأت في سرد كل شيء، بداية من مكالمة الهاتف والهدايا والأحلام حتى الحرق، عندما رآه اصفرَّ وجهه وانقبضت ملامحه مما أصابني بالقلق، انتهيت بدون مقاطعة منه، صمت قليلًا كأنه يفكر ثم سألني: انتِي والدك فين؟

- متوفى.

- بقاله قد إيه؟

- ٩ شهور.

- والدك كان رافض تختلطي بالعالم الخارجي مش كده؟

تنهدت بحزن عندما تذكرت تلك الأيام وأجبت: أيوا.

هز رأسه وظل صامتًا للحظات، ثمَّ قال: كنتي مرتبطة قبل كده؟

نظرت إلى أمي بدهشة ثمَّ عاودت النظر إليه وقلت له: آه.

-اتوفى امتى!

تعجبت حقًا من معرفته بهذا الأمر، ابتلعت ريقي بتردد وأجبت بعدما أعاد سؤالي من جديد: نفس يوم وفاة بابا؟

صمت كثيرًا، صمته قلقني، وزرع الخوف بقلبي بدون قصد، هل الموضوع خطير لهذه الدرجة؟

دام صمته لخمس عشرة دقيقة، ثمَّ بدأ يتكلم وما قاله مستحيل أن يصدقه عقل.

- بصي يا بنتي اللي بيحصل لك ده لا هو مس ولا حاجة من دي، اللي بيحصل ده شيء معرفش تصنيفه بس اللي فهمته إن اللي بتجي لك وتكلمك دي روح خطيبك اللي مات.

- عمر!

- أيوا، اللي هقوله يمكن غريب ويمكن متصدقيش بس هي دي الحقيقة، خطيبك روحه متعلقة بيكي وعايزك معاه، قدر يعمل معاهدة مع حد من العالم اللي هو فيه عشان ياخدك وتكوني معاه، بس..

صمت مرة أخرى، وانتظرته ليكمل لكن لفت انتباهي أن عيناه كانتا معلقتان بذلك الحرق، فقلت: بس إيه يا مولانا؟ كمل.

- هو بطل يجيلك صح؟

- أيوا، آخر مرة من ١٠ أيام أو أسبوعين مش متذكرة.

اشار إلى رقبتي وقال: هو بطل ييجي عشان ده.

ارتفع حاجبي بتعجب وملح هو عدم الفهم في عيني فأردف قائلًا:

- الكائن اللي اتعمل معاه المعاهدة كان هيأذيكي، شرط من شروط وجودك معاه إنك هتكوني أسيرة، مملوكة، يعني حريتك كانت هتكون تمن وجودك جانبه، هو رفض إنه يقيدك، أنقذك من الموت اللي مكانش هيبقى رحمة ليكي خالص، حتى محاولة الكائن ده إنه يموتك هو اللي منعه لما نهى المعاهدة.

كنت أستمع إليه بعدم تصديق، ألجمتني الصدمة وسقطت دموعي رغمًا عني، عمر كان خطيبي، تمت خطبتنا منذ عام ونصف، كان يعشقني وأنا أبادله نفس الشعور، كان ينتظر ذلك اليوم الذي سأكون فيه زوجته حتَّى يحقق لي ما تمنيته كثيرًا بعيدًا عن قيود أبي، لكن كأن العالم قد تحالف لتحطيمي، وجاء الحادث الذي أخذهما معا، ودمرني كليًا، وجدت نفسي أبتسمُ من بين دموعي، دائمًا ما كنت أشعر أنه سندٌ لي بعد الله سبحانه وتعالى، كأن الله أرسله ليكون حامِيًا لي حيًا وميتًا.

عدتُ إلى منزلي وأنا أشعر أنَّ جسدي متجمدٌ من الصدمة، لم تعد لدي قدرة على التفكير ولا التصديق، فقط أتكلم مع نفسي وأقول:

- ازاي معرفتش صوته، ريحة البرفان بتاعه اللي كان بيهديها لي في كل مناسبة ويقول لي انتي تخصيني، رسمة العصفورة هو اللي علمها لي، ازاي مقدرتش أعرفه من كل ده؟!

أرهقني التفكير فنمت، وكان من نصيبي حُلمٌ غريب؛ مكانٌ عجيب لا يمكنني تحديده لكنه مألوف، كان شارعًا فارغًا به أشجار كثيفة، ومحل كبير لبيع الحيوانات والطيور، جذبني إليه فاقتربت منه، لم أجد به أي شخص، لفت انتباهي قفص صغير به عصفورة ألوانها كانت مبهجة لكنَّ الحزن يسكنها، شعرت بغصة تخنقني وقبضة تعتصر قلبي ورأيت نفسي مكانها، كنت سجينة وكان أبي سجانًا لا يعرف التفاهم، يقيدني بأغلال لعينة، أَضاع من عمري سنوات، انسابت دموعي، لكنِّي تذكرت أنِّي رغم يأسي وجدت من يعطيني أملًا في الغد، كان دائمًا يخبرني أنه سيأتي اليوم الذي سيحررني فيه، وضعت يدي على القفص

لأخرجها فأنا أكره القيود، لكني كنت مترددة، ابتعدت، خائفة أخشى عليها من العالم الخارجي، العالم بشع، هنا أفضل، ومن بين ترددي وجدت صوتًا يقول:

-عمر تفكيرك ما كان كده.

نظرت حولي فلم أجد أحدًا فقلت: مين؟!

- حرريها، زي ما قدرتي تحرري نفسك.

وجدت نفسي أجيب بصوتٍ مختنق ولا أدري إن كان ما يحدث حقيقةً أم حلمًا:

- مش عايزاها تتلوث، الدنيا وحشة أوي.

- بإيدنا نجملها، يلا خرجيها.

مددتُ يدي مرة أخرى وفتحت القفص وحلقت أمامي، نظرت إليها وابتسمت فقد رأيت نفسي أحلق مكانها، حتى ظهر.

- عمر!

- عرفتيني!

- مش عارفة ازاي توهت عنك.

قلبي كان ينبض بقوة، كنت أشعر بالدفء وأمان لم أشعر به إلا في وجوده.

-آسف عشان مقدرتش أكون معاكي، بس لو بعدي عنك هيكون سبب إنك تبقي حرة وتحققي كل أحلامك فأكيد هكون راضي.

كنت أنظر إليه بصمت فقد اشتقت للنظر لعينيه، الكلام سُجن بداخلي، كل ما أردت قوله تبخَّر في لحظات، ابتسم لي وقلبي أصابته رجفة خفيفة مثلما رأيته أول مرة، تسلل حديثه لداخلي واحتضن قلبي ليأخذ معه كل الألم.

- هكون دايمًا جانبِك، هحميكي حتى لو مش هتشوفيني.

اختفى واستيقظت، ومرَّت السنوات، يمكن أن تكون حكايةً لا تصدق، والكثير سيقول لقد فقدت عقلها، وأيضًا من الممكن أن يكون كل ما حدث لم يكن إلا وهمًا، لكن لا، أنا متيقنة أنه لم يكن وهمًا، هو مازال معي وروحه تحيطني وتحرُسني، يزورني في أحلامي، يتحدث إليَّ يحثني على المُتابعة.

حكايتي لم تنته بعد، من المؤكد أن تكون لها نهايةٌ ذات يوم، لكن ما توصلت إليه حقًا هو أنني لم أعد أخشى شيئًا.

تمت

نهلة مجدي متولي

الشَّيطَانُ يَغنِّي

جاء متشحًا بالسواد، هو الذي تختفي الشمس في حضوره، ويسود الليل، هو سيد الظلام، جاءه فاسق بنبأ فلم يتبين كعادته، هناك في السماء، يحيكون المؤامرات ضده، ولابد من إيقافهم، صعد ليحصُل على تفاصيل المؤامرة، كبرياؤه أنساه الاتفاق، صعد حثيثًا فسمع كلمة أو كلمتين، وفجأة لمحه من بعيد يأتي بسرعة البرق، كذَّب عينيه وكذَّب الحقيقة، إنه شهابٌ اصطدم به كنيزك، هوى من السماء محترقًا، رأى أفعاله منذ نشأة الأرض، رفض السجود، غَضِب الإله، جاوز السحاب رمادًا، وأخيرًا أمست الأرض بلا شيطان.

ترى كيف سيكون هذا الكوكب البائس بلا إبليس، بلا شر، بلا خطيئة؟!

ترك مؤمن قلمه بعد أن كتب تلك السطور ولم يعد يدري كيف يكمل قصته، سيتهمه البعض بالإلحاد والخروج عن الثوابت، هكذا هو كلما شرع في كتابة عمل أدبي تأخذه الأفكار بعيدًا، لكنَّ ما حدث في روايته الأخيرة وما واجهه من هجومٍ جعله يفكر ألف مرة قبل أن يكتب تلك القصة.

يدخل مؤمن مقرَّ الجريدة التي يعمل بها محررًا بقسم الحوادث، يعتريه السأم، والتعب؛ فقد قضى ليلته بين أفكاره وأوراقه وها هو يعود مجددًا للأوراق، أمامهُ كثيرٌ من الأخبارِ ليحررها استعدادا للعدد الأسبوعي، يحبُّ هذا الإصدار جدا ويشبِعُ فيه هوايته ككاتبٍ وأديب، يكتب الجريمة في إطار درامي مشوق.

يتفقد العديد من الأخبار، تراصت أمامه الأوراق في أكوامٍ لم يكد يظهرُ من خلفِها وهو جالس إلى مكتبه، يتنقل بينها وبين جهازِ الكمبيوتر، يُطالِع أهم وأغرب أخبار الجرائم التي حدثت خلال الأسبوع.

أطلق صفيرًا طويلًا وأسند ظهره للخلف مشبِّكًا يديه خلف رأسه، تعج صالة التحرير بزملائه من الصحفيين لكنها هي من تتابعه وتهتم لأمره، تشفقُ عليه من مضايقات زملائهم كلما كتب عملًا مثيرًا للجدل، سحبت كرسيها لتقترب من مكتبها، تضعُ وجهها بين كفيها وتتأمله، تعرف أنَّه عندما يطلقُ هذا الصفير هناك أمر ما يشغلهـ يلمحها من تحت نظَّارته فيعدِّل وضعها على وجهه بيده رافعًا حاجبه وقد علا صوته بالصفير، ابتسمت ثمَّ ضحكت حتى ضَاقت عيناها فقد أشار إلى ساعة يده وهو يغمزُ لها بطرفه، فتقف فورًا وتخرجُ مسرعةً من المكتب وهو يتبعها حتى غابت عن ناظريه.

اتَّجه لتلك النافذة الزجاجية التي تحتلُّ مساحةً من حائطِ صالة التحرير، وأزاح ستائرها ليرى الشارع، يظهرُ النَّاسُ من هذا الارتفاع كمستعمرةٍ من النَّمل لا يتوقَّف دبيبها إلا أنهم في كل وادٍ يهيمون، وأين هم من نظام مملكة النمل ونِظامِهِم وتكاتفهم؟!

في هذا الوقت من اليوم يشتد الزحام فهو موعد خروج طلبة المدارس والموظفين، تبدلت سلوكيات الناس وارتدى كلٌّ منهم قناعًا يُخفي به وجهه الحقيقي، هذا الرجل هناك يزاحم السيدة الحامل ليأخذ مكانا في أتوبيس النقل العام ولتقف هي في الشارع، لا يهم فخطؤها أنَّها نزلت من بيتها لتزاحمه في العمل فلتتحمل إذن.

هذا الصبي راكب الموتوسيكل يتحين الفرصة ليخطف حقيبة أحد المارة ويذوب في الزحام، وهذا المتسول هناك بجانب الرصيف يخطف الصبية نقوده التي يلقيها له المارة ولا يستطيع منعهم فهو كفيف، أو ربما يدعي ذلك ليكسب تعاطفًا، ويضطر للسكوت لكيلا ينكشف أمره.

تقطع عليه سوسن تأملاته:

- نحن هنا يا سيادة الأديب المحترم، إيه اللي واخد عقلك؟!

مدَّ يده دون أن يلتفت إليها لتضع فيها كوب الشاي، أخذ يرتشفه على مهل وفجأة وضع الكوب على مكتبه وأمسك يدها، وخرج مسرعًا يجرُّها وراءه.

- على فين يا مؤمن والشغل اللي مخلصش، لسه العدد نازل بكره، أنت مبتحرمش جزاءات؟! رئيس التحرير ده الله يكون في عونه منك.

توقف فجأة ووقف قبالتها وبلهجة حاسمة لا تخلو من ابتسامةٍ رقيقة:

- أنت مش هتبطلي رغي، من الصبح بتتكلمي ومش عارف أركز.

- أفهم بتفكر في إيه وهسكت خالص.

- عازم نفسي على الغدا عندكم، عندك مانع؟!

- قول إنك عايز والدي تناقشه في موضوع روايتك الجديدة.

-يا سلام لما تفهميني بسرعة، هو ده المطلوب.

لفظ النهار أنفاسه الأخيرة ليبدأ الليل دورة حياة جديدة ينشط فيها المفكرون، والمتدبرون والمتألمون والمنتظرون لفجرٍ جديدٍ تشرق معه أحلامهم، جلسَ بلال وسط كومةٍ من الأوراق الممزقة المهملة فقد حاول الكتابة مرارًا ولم يُفلح، الأفكار ما زالت تراوده عن نفسه لكنَّهُ غارقٌ في مراجعة ما قاله والد سوسن اليوم، هذا الرجل الذي درس الفلسفة وشغفته حبًا، عمله كطبيب وقتُه مزدحِم لم يمْنعه من ممارسة حبه للفلسفة وعلم النفس.

تناقشا في الدافع الحقيقي وراء الجرائم التي يرتكبها البشر كل يوم، ومَن السبب في انحدار الأخلاق وانفلات السلوك؟!

لماذا يندفع الناس خلف أهوائهم غير مبالين بالعواقب؟!

هل نذهب للشر أم يأتي هو إلينا؟!

والكثير الكثير من الأسئلة، لم يصلا لإجابة شافية لكنَّ بعضًا من كلماتِ الرجل ظلَّت عالقةً في رأس بلال تحلقُ فيها كطيورٍ تبحث عن مخرج بلا هوادة يحرمه رفيف أجنحتها النوم.

(كـلُّ الشـموع تحترق إلا ضوء الإيمان؛ فالشـمعة التي تـوقدها بنور إيمانك هي التي تـغيـر مسار حياتك فأبقها مضيئة).

قرَّر أن يبدأ من جديد ويعدل ما بدأه في روايته، راح يقرأ ما كتبه بصوت عال:

- جاء متشحًا بالسواد، هو الذي تختفي الشمس في حضوره ويسودُّ الليل، هو سيد الظلام هوى الذي طُرِدَ من السماء محترقًا، رأى أفعاله منذ نشأة الأرض، رفض السجود وأغضَب الإله، جاوز السحاب رمادًا.

هنا أمسك مؤمن قلمه وكتب:

وأخيرًا، نزل إبليس الأرض بشرِّه، وظلمه وظلامه، كان لابدَّ أنْ يبقى يومان قبل العودة، ورآه أمامه نائمًا تحت شجرة عجوز اتَّخذ من جزعها بيتًا؛ تحتضنه فروعها اليابسة كأمٍ لا تتخلى عن ولدها مهما بلغ بها الوهن بل تستمدُّ قوتَهَا منه، ومن احتياجه لها.

رآه متكومًا حول نفسه، موحشةٌ هي أحضان البرد حين تلملم عظام وحدته الشاحبة، تؤنسه فيها نجوم السماء ويغسل القمرُ روحه في كل ليلة لكن إبليس أتى الآن فحجب ضوء القمر، حلَّ الظَّلام بقدومه وقرر أن يحتل هذا الجسد.

جسد بلال بائع اليانصيب وقارئ الكف المتجول، بصندوقه الخشبي يربطه حول وسطه، ويعلقه بحزامٍ عريض من الجلد في رقبته، أصبح الآن وسيلة الشيطان للتواجد، والسير بين الناس عارضًا مهاراته، الغواية لعبته ووسيلته لاستقطابِ البشر، سيقعدُ لهُم في كل طريق، ويزين لهم أهوائهم.

مع أوَّل ضوءٍ في النهار انطلق حاملًا صندوقه تفوح منه روائح حرص أن يجعلها نفاذة لتجتذب الزبائن، وراح ينادي بصوت رخيم: هنا عَندي

تِشِم ريحة الصِبَا ترجع شباب وردي

يتابعها وهي تجرُّ زوجها جرًا ليرى بخته ويشمَّ عطر الشباب، لكنه يرفض:

- لقد عشت شبابي وأستمتع الآن بكهولتي، سيفقدني الشباب حكمتي وعلمي وتجاربي، أرضى عن نفسي وعن قسمة الله لي في السن والجمال.

- أنا أريد الشباب، اقرأ لي يا بائع العطر كَفْيِ.

ويغني إبليس: بِشَمْه واحدة من عطري تعودين شابَّة

مكتوب في كَفْك هِنا

إعجاب كتير وزواج

هَتِغْلَبِي حِيْرَة لو خَيَّرُوكِي

تختاري مين م الشباب.

وبمجرد أن حصلت على شبابها فقدت بيتها واستقرارها، لم يعد ينفعها ذلك الكهل الأشيب وصارت مهووسةً بالشباب والجمال وبالمعجبين بها، هامت على وجهها في الطرقات تعيش الوحدة رغم الزحام حولها.

ابتسم إبليس ثمَّ ضحك حتى بدت نواجذه عندما رأى ذلك الولد الصغير، مندفعا إليه يمد كفه الصغير ليأخذَ نفحة عطر، ويقرأَ مستقبله، لكن إبليس همس له بعد أن نظر في كفه:

- مستقبلك يبنيه المال، بالمال وحده تملك أسباب السعادة، هات أباك هنا فرشة من عطر الثروة والمال تغنيه وتمنحه القوة.

اندفع الولد يلح على والده، يقرأ ابليس أفكاره، يفكر منذ زمن لسرقة المصلحة التي يعمل بها لكن زميله يرفض مساعدته، وخوفه لو انكشف أمره يقيده، يؤمن أن الله سيغفر له فهو سيفعلها لمرة واحدة تحت ضغط الحاجة ولن يعيدها.

وراح إبليس يغني، وينشر العطر:

- المال ده سر الحياة والخوف ملوش عَازَة

قَّرب ونُول المُنَى افتح خزاين الهَنا

واللي يُقَفْ لك يوم امْشِيّلُه ف جنازة

لكن ده كله بِتَمن؛ إوعاك تقول ماذا

يحصل على المال ويتخلص من زميله بالقتل، ويذيع أنَّه سرقَ وانتحر، امتلكَ كل ما أراد وأغدق على ابنه، وفي أول رحلة له بالسيارة الجديدة يعود مضرجًا في دمائه، هذا أول ثمن يدفعه!

رنَّاتُ هاتفٍ محمول لا تنقطع وسيلٌ من الرسائل يزعج هذا الجالس مع صديقه، يتابعهم إبليس عن كثب، ويقرأ لغة العيون والشفاه:

- في إيه بس مضايقك؟! البنت بتحبك وعايزاك.

- أنا ماليش في الحرام يا سيد، معرفش أمشي كل يوم مع واحدة، ربنا ميرضاش بكده يا أخي، أنا مش فاهم صلاتك دي إيه لزمتها لو مش هتنهاك عن المنكر ده.

- ملكش دعوة أنت، ويعني هو يرضي ربنا المناظر اللي شايفينها في الشوارع دي؟ ومتقوليش غض بصرك يا أحمد، أنا بحذرك أهو.

إيه ده شامم الريحة الحلوة؟ شايف الغزال ده اللي واقف هناك؟

- عارف لو روحت؛ لا أنت صاحبي ولا أعرفك.

يغني إبليس وينشر عطر الرغبة في الأجواء:

-زلزال وقام لما اتجهتِ ناحيتي

يا سلام عليكِي لما تنوي ع الدلال

عارفة إني بلقى ف نور عينيكِ دنيتي

والنظرة منهم خمرة م النوع الحلال.

وينادي سيد على إبليس:

- تعالى يا بتاع الخمرة الحلال.

ويقبل إبليس عليه، يضم كفه بحنو ويهمس له:

- روح قول لها يسعد مسا حوا الجميلة

اللي كانت سعد آدم كل ليلة

اللي خلت قلبه جنة من خضارها

اللي خلت شوقه زاد من انتظارها

اللي أنفاسها لهيب عالصدر حارق

اللي في غيابها الحياة والكل بارد

روح قول لها ده العشق مذهب

وإنك جمعت ف عشقها كل المذاهب.

ويذهب إليها سيد بكل ما فيه متجاهلًا كلمة إبليس:

- سأمنحك عطر الرغبة والحب، لكن كله بتمن إوعاك تقول ماذا.

يقترب منها سيد في الوقت الذي يحتضن زوجته شخص مثله، ويجلب له العار، يخسر سمعته بعد أن عرف الجميع.

قارب اليومان على الانتهاء، إبليس يفكر في البقاء فما أسهل غواية الإنسان، يكفي أن تشجعه وتزين له أهواءه وسيقوم هو بكل شيء، دقات قلب بلال تتسارع وتتلاحق أنفاسه، قلبه المريض لا يحتمل الإجهاد فيسقط مغشيًا عليه، تتناثر محتويات صندوقه ويلتف المارة حوله، يصرخ أحدهم:

- عم بلال اصحى، أنا حفظت أذكار الصباح والمساء زي ما وعدتك؛ عم بلال.

ويقترب من أذنه، ويردد الأذكار:

- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

ويفر إبليس مذعورًا، مات بلال ولم يعد لإبليس مكانا هنا، لابد أن يحيا لينتقم من بني آدم ولينفذ مشيئة الله ووعده له أن يظل من المنظرين إلى يوم يبعثون.

يضع والد سوسن قصة مؤمن من يده مهنئًا إياه على انتهائه منها ويتلو قول الله تعالى مصدقًا على ما قرأ:

- (١٦) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٢٦) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٣٦) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٤٦) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٥٦).

« سورة الإسراء»

تدخل سوسن في كامل زينتها فيلتفت مؤمن مشدوهًا من جمالها وكأنَّه يراها لأول مرة، فتسأله وهي مندهشة يعتريها الخجل من نظراته:

- إبليس مازال حرًا؟! لماذا لم تُمِته مع بلال وتريح الكون من شروره؟

- إبليس يجري منا مجرى الدم، لا غنى للمؤمنين المخلصين عنه، ظنَّ أنه جاء لينتقم من بني آدم لكنَّه جاء ليكشفهم، ليفرق بين من اهتدى ومن ضلَّ سواء السبيل، الشيطان والإنسان، الجنة والنار.

تهللت أساريره وهو يقرأ عينيها، ثمَّ فاحت رائحة ذكية عندما بدأ الغناء:

رسمتك وشم على قلبي

عيونك ساكنة وجداني

وروحي تشتهي همسك

ونفسي أسمعه تاني

وهعمل إيه مع بنية بكل كيانها وحشاني.

وهعمل إيه؟

تمت بحمد الله

نهاد رزق

كلِمَات تُقرَأ ليلًا

كانت ليلةً ككل الليالي السابقة لا اختلاف بها، نفس الورشة والطريق الذي لا ينام أبدًا حيثُ تقطَعه سيارات المسافرين ليل نهار بلا انقطاع، وورشتي التي تستقر على جانب الطريق لتقدم خدمات الصيانة المختلفة للسيارات تصليح وقطع غيار الى آخره، أنا يوسف وأعمل بها منذ أن تفتحت عيناي على هذه الدنيا، طفلًا كنت بها ومراهقًا، وها أنا ذا رجلٌ أحتلُّ مكاني أمام الورشة بثقةٍ في ذلك الوقت المتأخر حيث أقتسم الأيام بيني وبين رفيقي، حيث أبيت أنا بها ليلًا لمتابعةِ العمل في ذلك الوقت المتأخر ليحل محلي هو في الليلة التالية.

كانت الليلةُ هادئة فقد بدَأ فصلُ الشتاء في إرسال تباشيره، لم يكن الجو باردًا جدًا بل على العكس كانت نسمةُ الهواء المنعشة توقظ حواسي وتجعلني أكثر انتباهًا، ومن حين لآخر يقطعُ أفكاري مرور سيارة مسرعة لأعود بعدها لتأمُّل الطريق وتأمل تلك الرقعة الزراعية الضخمة التي في المقابل لي والتي شكَّلت بظلامها الدامس شاشة عرض ممتازة لأفكاري وخيالاتي.

طافت بذاكرتي أيام عمري العشرين منذ ولدت لأسرة فقيرة، لأصبح في عامي السادس يتيم الأب، جاهدت والدتي لتعليمي حتى أتممت المرحلة الابتدائية لتخبرني بعدها أنَّهُ لا مفرَّ من أن أترك الدراسة لأساهم معها في تربية إخوتي الصغار، تلك القصة المعتادة عن الطفل الذي يحلُّ محلَّ الأب مبكرًا لتصبح يده الصغيرة هي مصدر دخل الاسرة الوحيد بعد أن توقَّفت الأم عن العمل لكي تراعي صغارها، لم أشك يومًا من وضعي هذا وجلُّ ما كنت أرجوه أن يوفقني الله لإسعاد أسرتي الصغيرة.

أفقتُ من شرودي على صوت سيارة مسرعة قطعت بصوتها سيل ذكرياتي، نهضت لأدخل الورشة لكي أصنع كوبًا من الشاي وعندها رأيته، شابٌ يرتدي ملابس منزلية ويحملُ بين يديه حقيبة صغيرة يحتضنها بكلتا يديه، اخترق ظلام

الجهة المقابلة لي وهمَّ بعبور الطريق ليتوقف قليلًا، يبدو عليه التردد، ثمَّ في ثوانٍ معدودة حدثت الكارثة؛ سيارةٌ مسرعةٌ أطاحت بجسده ليرتطم بقوة أرضًا لتسيل دماؤه غزيرة، هرعتُ إليه أنَا وسائق السيارة التي توقَّفت بصعوبة كادت أن تؤدي لانقلابها هي الأخرى، وهرعَ إلى السَّائق وهو يرتجف ويصرخ:

لم أره، أقسم لقد تفاجأت بمروره وتوقفه أمامي، لقد ألقى بنفسه أمام السيارة ولم أتمكن من تجاوزه أو الانحراف بعيدًا عنه أقسم لك هذا ما حدث.

كنت أعلمُ أنَّ السائق صادق في قوله، نعم، فقد رأيت كل شيء، بالفعل لقد تردد الشاب في العبور أثناء خلو الطريق حتَّى بدا لي أنه ينتظر شيئًا ما، وما إن لاحت السيارة مقتربة حتَّى هرع إليها ملقيًا بنفسه أمامها، انتحار!

هذا الشاب قد أتى لينهي حياته عن عمد، اقتربت منه محاولًا أن أحمله وأنا أصرخ بالسائق: هيا نحمله إلى أقرب مشفى ربما كتبت له النجاة.

هنا شعرت بيد الشاب تُمسك بي ويجذبني ’ليه قائلًا:

تخلص من الحقيبة، أنا سأموت لا مفر، هذا الرجل لم يرتكب أي جريمة فأنا من أنهيت حياتي، فقط تخلص من الحقيبة أرجوك.

حملت الحقيبة الصغيرة بين يديّ وبمساعدة السائق حملناه ووضعناه بالسيارة لمحاولة إسعافه، هرعت إلى الورشة لإغلاقها وألقيتُ الحقيبة بين الأدوات لأعود سريعًا إلى السيَّارة، وفي خلال دقائق كنت في المشفى ليطالعنا وجه الطبيب بعد الفحص قائلًا: لقد تُوفي الشاب.

إجراءات كثيرة تلت تصريح الطبيب؛ الشرطة والقبض على السائق الذي كاد يلثم يداي لأشهد بقول الشاب أنه من ألقى بنفسه عن عمد أمام السيارة، وما كنت لأفعل غير ذلك، لم يتم التعرف على هوية الشاب فهو لا يحمل أية أوراق شخصية، وفي خضم تلك الأحداث المتسارعة نسيت تمامًا أمر الحقيبة ووصيته لي بالتخلص منها فلم أخبر أحدًا بأمرها.

عدتُ إلى الورشة وقد توسطت الشمس كبد السماء لأجد صاحب العمل يزفر غيظًا، وصرخ بي فور رؤيتي:

أين كنت يا يوسف؟!

لقد أتى زميلك في الصباح ووجد الورشة مغلقة، منذ متى وأنت تفعل ذلك؟

يبدو أنني كنت مغيبًا حين ظننت أنك تراعي الله في عملك وتصون الورشة في غيابي.

هتفت بضيق: كنت مضطرًا، حادثٌ رهيبٌ وقع أمامي واستُدعيت للشهادة ومنذ الليلة الماضية لم أذُق طعم النوم ولا الطعام.

وقصصت عليه ما حدث سريعًا، فرد صاحب العمل بحزن: اللهم احفظ أولادنا، ما هذا ألا يعلم أن الانتحار كفر؟!

رددت وقد بلغ بي التعب مبلغه: لا أحد يدري ما دفعه لذلك، فلنسأل الله له الرحمة والمغفرة، هل لي أن أحصل على عطلة هذه الليلة فأنا مرهق جدًا ولا أقوى على فعل أي شيء؟

لم يكن صاحب عملي ذو قلب قاس، ربما لسانه ينطلق مقرعًا إيانا من حين لآخر إذا أخطأ أحدنا لكنَّه كان يعاملنا كأب لنا؛ لذا وافق على الفور أن أعوض اليوم بليليتين سهر بالورشة فوافقت فورًا، هنا تذكرتُ أمر الحقيبة فبحثت عنها بين الأدوات، وجدتها وحملتُ نفسي راحلًا إلى منزلي، عازمًا على ردها إلى قسم الشرطة في الغد علَّهم يتوصلون لهوية ذلك الشاب.

عدت إلى منزلي وأنا لا أقوى على الوقوف، فزعت أمي لمظهري والدماء التي غطت ملابسي فأخبرتها بما حدث سريعًا ومن ثمَّ قمت لأخذ حمام دافئ وألقيت جسدي بإرهاق على السرير، نظرت إلى الحقيبة الملقاة بجواري، تفحصتها سريعًا لكن لا شيء!

فقط أوراقٌ بيضاء خاليةٌ من أي شيء موضوعة بعناية داخل ملف، هكذا فقط؟! تعجبت من هذا لكن عقلي وعيناي يستغيثان بي أن أهبهما بعض الراحة؛ إذًا فلنأجل أمر الحقيبة حتى آخذ قسطًا من الراحة، وبالفعل قمتُ بوضعِ الحقيبةِ داخل خزانتي حرصًا عليها من عبث الأطفال، ثمَّ غبتُ في نومٍ عميق بلا أحلام.

استيقظت في منتصف الليل، كانت ساعةُ هاتفي المحمول تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل، كنتُ أشعرُ بظمأ شديد وجوع فأنا لم أتناول شيئًا منذ الأمس، نهضتُ وذهبتُ إلى المطبخ فوجدت أمي قد أعدَّت لي الطعام قبيل نومها، تناولتُ بعض اللقيمات على عجالة حتى أعود لنومي مجددًا وهنا تذكَّرت الحقيبة، تناولتها من خزانتي وخرجتُ من الغرفة حتى لا أوقظ إخوتي الصغار، وأمام المنزل على مصطبة قد وضعت عليها أمي قطعةً قديمةً من الحصير جلستُ أتفحص محتويات الحقيبة، لا جديد فلا يوجد شيء سوى ذلك الملف وما يحويه من أوراق، فتحته مرة أخرى لأتفاجأ بأمرٍ عجيب؛ فالأوراق التي كانت خاليةً في الصباح لم تعد كذلك، ربَّما عبث بها الأطفال، لكن لا، هذه ليست كتابات أطفال ولا تنتمي لعبثهم فالخطُّ منمقٌ ومنظم، ربَّما كان إرهاقي الشديد في الصباح هو ما هيَّأ لي أنها خالية.

ربما، على كل حال، قررتُ أن اقرأ ما بها علَّني أصل إلى أي معلومة هامة لكن وللعجب الأوراق ما هي إلا مجموعةٌ من القصص، هكذا استنتجتُ من مطالعتي السريعة لها، تذكَّرت طلبه المُلحَّ بالتخلص من الحقيبة، ما الداعي لذلك؟!

ما الداعي للتخلص من أوراقٍ تحملُ خيال كاتبها لا أكثر؟

ربما كانت هلوسةً منه من أثر الحادث، ربما!

أكملت فحص الحقيبة ولا جديد؛ إذًا لا داعي لتسليمها فهي لن تفيد وربما ظنوا أني أقوم بإخفاءِ شيءٍ مهم وأنا لن اتحمل ضياع أيام أخرى من عملي، ولا أن أصبح من مرتادي أقسام الشرطة.

وضعتُ الحقيبة بجواري وأخذت أتأمل الأوراق، منذ زمن لم أقرأ، منذُ أن أنهيتُ مرحلتي الابتدائية، لكن مازلتُ أذكر القراءة جيدًا، إذًا فلأمنح نفسي بعض الراحة والتسلية وأقرأ تلك القصص، تناولت الورقة الأولى والتي تليها..

ورقةٌ تلو الأخرى، تجري عيناي فوق السطور وتلتهمُ الكلمات التهامًا، كلُّ ورقة تحمل قصةً قصيرة لبطلٍ واحد يمر بكل الأحداث، اندمجت فيها كليًا وكأنَّما أرى ما يحدث، أرى البطل الذي لا أدري لماذا كانت ملامحه تشبه ذلك الشاب المنتحر، أراه يعيش أحداثَ كل قصة والتي تميزت جميعها بالدموية والنهايات المأساوية، وما إن تبدأ قصة أخرى إلا ويعود ليحيا في بطولةٍ جديدة وأحداث جديدة.

كانت القصص مشوقة رغم قسوتها، وكلما أنهيتُ قصة وشرعتُ بأُخرى كانت ملامحُ الشاب تتبدَّلُ في خيالي وأرى ملامحي بدلًا منها، شعرتُ بمدى مهارة الكاتب الذي تمكَّن من تقييد عقلي وجعل أنفاسي مرتبكة، ودقات قلبي تعلو وتهدأ متناغمةً مع الأحداث وكأنَّما أحياها حقًا، أي متعة عايشتها وأي عذاب عاشه البطل؟!

ومن آن لآخر يقطع حبل أفكاري سؤال محير: لما يجب علي التخلص منها؟!

لماذا أوصاني بهذا؟!

لم أنتبه إلى أنني قد قاربت على إنهاء الأوراق كلها، لم أشعر بمرور الوقت، ولم يخرجني من هذا الاندماج إلا أذان الفجر، هنا فطنت إلى أني قد قضيت ليلتي كلها على هذا الوضع، جمعتُ الأوراق ونهضت لأدخل المنزل قبل أن تلحظ أمي غيابي، وضعت الأوراق والحقيبة على سريري وذهبت لأؤدي الصلاة عازمًا على العودة لإنهاءِ القراءة مرة أخرى، لكن فور تأديتي للصَّلاة غلبني النوم من جديد لتوقظني أمي في الصباح هاتفةً بي أن أنْهض حتَّى لا ينهال عليك صاحب العمل تقريعًا ولومًا، نهضت ومازال أثر النوم بعيني، أمسكتُ بالأوراق وهنا انتفضت كالملسوع فالأوراق خاليةٌ من جديد!

أي هراء هذا؟!

صرختُ بإخوتي:

من منكم عبث بتلك الاوراق؟!

نظروا إليَّ بتعجب وقالوا: لم نمسها يا يوسف، لقد أيقظتنا أمنا للتو.

أتت الأم مسرعةً على صوتي المرتفع هاتفة: لم يقربها أحد يا يوسف، ما هذه الأوراق؟! ومن أين أتيت بها؟

أجبت تساؤلها وقد غلب على صوتي الغضب والحيرة: ليست لي يا أمي، أحدهم حفظها لدي، لا تقلقي ليس بالأمر المهم، سأقوم بحله.

تعجبت أمي وتركتني عائدةً لإتمام مهامها فلا وقت لديها لأوراق ولا غيرها، أخذتُ أقلب الأوراق في حيرة، لا أثر لأي كلمات بها، وما أثار ذهولي هو أثر قطرة من كوب الشاي خاصتي التي سقطت مني سهوًا بالأمس أثناء قراءتي، إذًا فالأوراق لم تتبدل وأنا لم أكن أحلم، ولكن أين اختفت الكلمات؟!

بدَّلت ملابسي على عجالة لألحق بعملي، كنت شارد الذهن معظم الوقت ومن حين لآخر أختلس النظر إلى الحقيبة المستقرَّة بهدوء على أحد الأرفف داخل الورشة، أتحين الفرصة للانفراد بها مجددًا ومحاولة كشف لغزها المحير، وأخيراً حلَّ الليل ورحل صاحب العمل وزملائي تاركين لي مهمَّة وردية الليل وحيدًا، وكان أول ما فعلت أن أسرعت إلى الحقيبة وأخرجت الأوراق وما إن رأيتها إلا وألقيتُ بها أرضًا وقد تملَّكني الذعر فها هي الأوراق أمامي من جديد وقد خطت بها الكلمات مرة اخرى، أخذتُ أجمعُ الأوراق التي تناثرت في كل مكان بيدين مرتعشتين، راجعتُ السطور سريعًا فوجدتُها نفس قصص الأمس، لكن مهلًا، تلك الورقة لم تكن موجودة بالأمس، الخطُّ مختلف كما أنها ليست قصة فيما يبدو، ويبدو أنها قد كتبت على عجالة فالكلماتُ مرتعشة بشكل واضح.

جلست أرضًا فلم أعد أقوى على استيعاب ما يحدث، وبدأت في قراءة الورقة التي كانت رسالة.

"إلى من يجد تلك الأوراق، أنت البطل القادم إلا إذا تمكنت من التخلص من تلك الأوراق وإلا ستتحول إلى سجين لأحداث القصص السابقة، ليس الأمر ممتعًا أبدًا، ستحيا أيامًا في ذعرٍ وألمٍ تقتربُ من الموت في كل لحظة حتى إذا ما لفحتك أنفاسه نجوت لتُصبِح بطلًا لقصة جديدة، دائرة مغلقة لا فكاك منها إلا بالموت.

تلك الكلمات لا تظهر إلا ليلًا وحينها يمكنك أن تنجو قليلًا من ذلك العذاب حتَّى إذا ما لاح الفجر ستختفي الكلمات وتجذبك بين طياتها لتبدأ معاناتك حتى يعود الليل فتتحرر، تلك اللعنة تبدأ بعد إنهاء القراءة الأولى، أرجو ألا تكون قد أنهيت قراءة كل الأوراق فربَّما يمنحك هذا فرصة للنجاة، صدقني لا أدري سبب تلك اللعنة فقد حصلتُ على تلك الأوراق ضمن مجموعةٍ من الكتب القديمة التي اشتريتها من بائع متجول يبيع كل ما هو قديم، ربما هي ملكٌ لكاتب معتوه لعنَ كلماته ليضمن خلودها، ربما هي ملك ساحر أو شيطان، لا أدري، فقط كل ما أوقنه أني قد فشلت في النجاة منها ولن أتحمل يومًا آخر في هذا العذاب ولا هذه الدائرة المغلقة، حينَ تقرأ تلك الكلمات سأكونُ بين يدي الرحمن وأرجو أن يغفر لي.

أتمنى لك النجاة

إمضاء: لا أحد.

ملحوظة: احرص على إخفاء الأوراق قبيل الفجر فربَّما كان ضمان عودتك الوحيد كلمَا حل الليل أن تكون تلك الأوراق في أمان، فأنا لا أعلم ماذا سيحدث إذا حصل عليها أحدهم، أنت سجين أحد حكاياتها وربما سجنت بها للأبد»

قرأت الرسالة وقلبي يرجف خوفًا، لقد قرأت القصص بالفعل، لا أذكر هل أنهيتها أم لا، ربما هي خدعة، ولكن ماذا عن اختفاءِ الكلمات وظهورها إذا ما حل الليل؟!

ماذا عن انتحاره الذي رأيته بعينيَّ وملامحه التي تجسدت في خيالي وهو يمر بأحداث القصص؟!

وأنا ملامحي أنا التي بدأت في اتخاذ سبيلها للبطل بدلًا منه، لا، ليست خدعة، رباه ما هو التصرف السليم؟ أين أحفظ تلك الأوراق حتى أضمن نجاتي؟

أنا حتى لا أذكر هل أنهيتها أم لا، ولا سبيل للمعرفة والفجر يقترب حاملًا لي ما لا أطيق، لابد أن أحاول التخلص منها، هرعت إلى إحدى الزجاجات التي تحتوي على البنزين وفي نقطةٍ بعيدةٍ عن الورشة حاولت حرق الأوراق، التهمت النيرانُ نفسها ولم تلتهم الأوراق، رباه ماذا أفعل؟! هل أقذفها بالنهر أم أمنحها لأحدهم؟!

ربما حينها أصبحت سجينها للأبد، وربما نجوت.

يكاد عقلي أن ينفجر وإذا بي أرى الشَّاب وقد تجسد أمامي من جديد في الجهة المقابلة من الطريق، ينظرُ إلي وكأنما جاء ليصحبني، ومن بعيد انتشر في الأجواء صوت قرآنِ الفجر الذي يسبق الأذان معلنًا أنه لم يعد أمامي سوى دقائق لاتخاذ قراري، هرعت إلى الجهة المقابلة من الطريق وغصت بأقدامي في البقعة الزراعية وأنا ألهث غير عابئ بالطين والظلام، وبجوار نخلةٍ عظيمة أخذت أنبش بكلتا يدي محاولًا إخفاء الأوراق حتى لا يجدها أحد وأُصبح سجينها الأبدي إذا ما حل النهار، الفجر يقترب ودقات قلبي تتصاعد لتغطي على صوت القارئ الذي اقترب من إنهاء قراءة القرآن، هرعت عائدًا لأجتاز الطريق إلى الورشة ولأستقبل مصيري وأعلم حقيقة إن كنت سأسجن بداخل القصص أم لا، وما إن وصلت إلى الورشة وجدت الأوراق تنتظرني في براءة على مقعدي الخالي.

هنا أدركت أنَّها النهاية، تلك الأوراق خُلقت حتى لا تقرأ، وما إن تنهيها إلا وتُصبِحُ حياتك ثمنًا لذلك، ليس في الأمر خدعة.

استسلمتُ لقدري فلن أتمكن من أَن أحيا رهين أحداثها الدَّموية كل يوم، سأدفعُ ثمنَ فضولي القاتل، وها أنت تراني وأنا أعبرُ الطريق مجددًا، تمامًا كما فعل مالك الأوراق السابق، أتوقف أمام إحدى السَّيارات المسرعة وأنا أحملُ بين يديَّ حقيبةً تحتوي على أوراقٍ خطَّ عليها بقلمٍ مرتعش (لا تقرأها، احرقها قبل أن يحل الليل).

تمت

نورهان ياسر عبد الله

سِرُّ القِلادَة

قاب قوسين أو أدنى من الموت ،كانت النهاية وشيكة بفارق دقائق معدودة، لقد تغير مسار حياتها للأبد، كادت نهير تفعلها لتتخلص من ذلك الشعور الثم الذي خيم على أفقها المعتم بعد أن أتمم والدها أجراءات عقد قرانها لرجل يكبرها بأكثر من ثلاثين عاما ، لم تتجاوز تلك الطفلة ذات الأربع عشر عاما أحلامها عنان سقف الغرفة ف كان أعظم ما تحلم به عناقا طويلا يجمعها بدميتها المفضلة دون أزعاج أو ممارسة نقل كارتونها المفضل على ورق الكشاكيل المتبقي من عام دراسي منصرم ،كل تلك الأمنيات تبخرت في مراجلها بقدوم ذلك الأرمل المتصابي محملا بكل ما غلا ثمنه وثقل وزنه فأغلق بثروته صكوك الفقر التي لازمت عتبة منزلها منذ أن دفقتها أمها.. تخمرت فكرة الثري العربي في ذهن والدتها التي أقنعتها بالموافقة ، فلم يكن هنا خيارا أخر ،دفعها ضيق الحال المستدام إلى توديع أمالها المستقبلية والتي رغبت في أحتضانها للمرة الأخيرة قبل هروبها من النافذة المثقوبة او ارتطامها بالحائط الأسمنتي الرطب المصادق لندرة الأثاث وقلة الغطاء.. لقد قررت اليوم التخلص من حياة الأموات فأطلقت سيقانها للريح تتنسم أفياء الحرية ولكن انقطع أزيز ثقل ذكرياتها المؤرقة على صوت رجل أجش ينادي بغضب بأن تكف عن النوم وتنهض لتطعم طفلتها ..

تلمع الكلمات في دفتر صغير تشق غموض الحدث.. تهتك خفاءه

ثمةأشياء تستوقفك دون أدني أشارة منك ،توقف قدميك النحيلتين عن الركض نحو المجهول وتقبل كل ما هو كائن ، أنا الأن متزوجة منذ ما يقرب العام ونص نسيت كيف يبدو وجهي الباسم واكتفيت بملامحي الشاردة وهي تنتظر جلسات الامتعاض اليومية وعقد الجبين إن نسيت مقبسا بالخطأ أو تريثت في نقل الصحون إلى الطاولة أو تقاعست في ارتداء ملابسي للخروج من المنزل ، تخليت عن طموحي وطفولتي وصرت أحتضن ليلا طنين رجل سمين لا أكاد أعرفه

بمدينة الأسكندرية بعد أن اصطحبني معه بغرض اتمام بعض الاعمال هناك..

في أحد الأيام خرجت لشراء بعض الأغراض والتنزه قليلا ،تركت طفلتي مع الزوج ، مثل الهوام أجوب الطرقات تمنيت سرا ألا أعود أبدا ،تذكرت كلمات جارتي التي تحكي عن فتاها الوسيم مخبئة صورته بين صفحات الجريدة،أراقبها كل مرة أزورها مباغتة وهي تضمخ وجهها الخمري الداكن بمساحيق التجميل الوردية لتبدو أنضر وأفتح لونا..

ترى كيف يشبه عناق العاشق لمعشوقته؟!

والمقابلات الغرامية واختلاس القبلات من وراء حجاب؟!

وكعادة كل ليلة سآوي إلي النوم محملة بالأوجاع فلم تترك الحياة بحوزتي سوى تفاصيل يومية رتيبة..

و رغم الزحام بدا الجميع مبتسمون ،جلست بالقرب من عاملة نظافة تلتقط انفاسها بجوار حاوية القمامة بعد أن كنست الشارع بأتقان،تنظر بفخر لأكوام النفايات وأعقاب السجائر والمناديل القذرة وهي متزاوجة بوريقات الشجر الصفراءالمتساقطة مودعة نهايات الشتاء،كنت لحظتها أحاول التفكير في حيلة ما تخلصني من ذلك العجوز النكد

وفي الجهة المقابلة من الطريق لاحت امرأة عجوز في الأفق ويكأنها من قلب العدم تفترش الرصيف ومعها حفنة من الأعشاب وقنينات زجاجية تحمل روائح غريبة والجميع يتوافدون عليها مثل مسمار معدني تتهافت عليه قطع المغناطيس تطوف حوله أينما ذهب،بعد خلاء الطريق من المارة والمبتاعين ندهت على تعجبت انها تعرف اسمي وبنظرة متفحصة قالت لي بمكر يشوبه الترقب

يانهير سيبتسم لك الحظ فقط ضعي تلك القلادة لا تخلعيها أو تحاولي التخلص منها

-لماذا أنا؟! ومن أنت؟

-لقد وقع عليكِ الاختيار

-ما هذا الهراء ولماذا على تصديقك؟!

أكملت حديثها معي بنفس الإصرار،أنتِ صفقة رابحة بلا رفقة صالحة بالفقر كنتِ سابحة كفاكِ تساؤلات فإنها تكشف أبواب المحظورات

بنيتي حان موعد ذهابك للمنزل سيتأخر الوقت عليكِ.

كانت القلادة ذات تصميم جميل حقا ومكتوب على إطارها كلمات ليست مفهومة بلغة لا اعرفها ،لم اشغل بالي كثيرا فقد توقف ريقي بمجراه حين رفعت رأسي لأشكر السيدة فلم أجد سواي أنا وشمس تنتصف السماء،عدت متعبة أريد بعض الراحة تذكرت أمر القلادة فارتديتها على الفور واحتضنت ابنتي وغبت في النوم ثم

ماهذا إنه صوت يصدر من الصالة؟!

هل يعقل أن يكون زوجي عاد من عمله لتلك السرعة!

بخطوات خاطفة خرجت لتفقد المكان وجدت فقط قطة سوداء تقف بمنتصف الصالة وتحتها ورقة ،تعجبت كيف دخلت تلك اللعينة للمنزل فأنا أكره القطط كثيرا باءت محاولات طردها بالفشل حتى صدح أذان المسجد المجاور فاختفت كما ظهرت ،تفقدت أمر الورقة مكتوب عليها يامن تحمل القلادة أو ترتديها فأنت ملعون .. عليك تقديم قربان خلال ثلاثة أيام وإلا سوف يتم قتلك،رددت بعض الأيات القرأنية حتى هدأت نفسي وبدأت أفكر وأحلل ما حدث للوصول إلى تفسير منطقي دون جدوى ،حاولت العودة للنوم فلم أفلح،فقررت النهوض لاعداد الطعام وترتيب المنزل وإطعام الصغيرة فلم أجدها بجواري يا ألهي

أين ذهبت ابنتي الصغيرة؟!

نهضت كالمجنونة أبحث عنها فهي لازالت لم تتعلم المشي !

كاد قلبي يتوقف حين رميت نظري خارج النافذة فوجدتها تطعم القطة نعم إنها نفس تلك القطةالسوداء وبنظرة خبيثة وصوت مرعب تردد باقي يوما واحدا لا تنس القربان وإلا ستكونين أنت

ماذا؟؟

القطة تتحدث

وابنتي كيف خرجت وحدها من المنزل ركضت مسرعة لحملها والاطمئنان عليها فإذا بصوتها تبكي من غرفة النوم فاقتربت بهدوء وحذر شديدين تفحصتها وأنا ارتعش خوفا ماالذي يحدث لابد أن السر في تلك القلادة الملعونة سأتخلص منها شعرت بأنين قوي إن صدري يحترق أكاد أشم رائحة شواء لحمي تحسست مكانها .. لم أجد شيئا تنبهت لصوت انفراج الباب ولعثمة المفاتيح

مرحبا لقد عدت إلى المنزل

أين أنت يانهير؟!

بالمطبخ أقطع اللحم وأعد الطعام

تدفقت في شراييني موجات من الهلع وأنا أبصر عينيه المسكونتين بالرعب ووجهه المغمور بنافورة من الدماء وقد أنهكه أعياء المقاومة

في صبيحة اليوم التالي يتصدر النشرة خبر قتل شابة لزوجها وابنتها وتقطيعهم لأجزاء صغيرة بأول أيام عيد الأضحى المبارك .. سنوافيكم بالتفاصيل بعد قليل..

لفظني أبي ذات يوم فانتشلني أحدهم من براثن الفقر والاحتياج ليضمني إلى قائمة محفوظاته وضم إلى جواري قطعة جديدة بثمن برائتي الضائعة.. كنت أعتقد يوما بأنني سأصل إلى القمر بقفزة واحدة، لم أكن على علم بأنني سأصبو نحو الموت بنفس أشتياق لجوءي للقمر

أنهت بتلك الجمل مذكراتها بعد أن وجدت منتحرة شنقا بغرفتها في مستشفى الأمراض العقلية عقب قرار المحكمة بأخضاعها للعلاج النفسي للتأكد من سلامة قواها العقلية وقد أرفق الطبيب المعالج الدكتور سيد رشدي تقريرا مفصلا بموجبه يتأكد لهيئة المحكمة الموقرة بأن السيدة نهير محمد رضوان(١٧سنة)تعاني من فصام مراهقة تصاحبه هلاوس بصرية حادة ناتج عن اكتئاب شديد واضطرابات مزاجية كانت الدافع وراء ارتكاب جريمتها ومن ثم الأنتحار بعد ذلك.

تمت

رانيا جمال

سر البِيادَة

أُدعى حُسام وبلا عملٍ كما تعرفون فهذا امر طبيعي في بلادنا، رجلٌ بلا عمل ليس بأمر جلل تثار له الأنفس؛ لذلك أعمل بأجرِ اليوم الواحد، تراني أتنقل يوميًا من مكان عملٍ لآخر، تارةً بائع ملابس ويومًا بائع خُضار وتارة أخرى (قهوجي) لا أُبالي بطبيعة العمل ما دام سيوفر لي قوتًا يوميًا يكفيني أنا ومن أعول فقد تعودتُ ألَّا أكون عبئًا على أحد.

أُزين حائط غرفتي بشهادةِ ليسانس الآداب، أحتفظ بها من باب الفخر بأني اكملت مسيرتي التعليمية بلا أي فائدة تذكر، أنهيتُ التَّعليم بكل مراحلة وبدأت في رحلة البحث عن الذات، وعلى ما يبدو أني لم أجدها حتى الآن؛ فقد حلَّ الشتاء الخامس والعشرين في عمري تقريبًا، دائمًا يأتي الشتاء مسرعًا ونعلم جميعًا ما بردُ الشتاء وخاصة إن كنت من سكان مرسي مطروح، يلسعك البرد بلمساته القارصة وتتجمع سحب الأمطار يوميًا لتحوِّل رماله لأرضٍ طينيه يصعب المشي بها، وخاصة إن كنت في مثلِ حالي تنتعل حذاءً سئم من رائحة قدمي المطل نصفها خارج الحذاء، بدأت أصابع قدمي بالظهور كجيوبِ المواطن المصري في آخر الشهر.

ذهبتُ بشكلٍ تعودته أو حفظته قدماي فتوجهت لا إراديًا إلى دكانة الاحذية (دكانة عم محمد) هو رجلٌ كبير السن يعرفني جيدًا؛ لأنني أكثر الزبائن زيارة له كما يقول لي دومًا (أنت زبون دائم) يبيعُ ملابس وأحذية مستعملة وبأسعارٍ بخسة.

وصلت إلى الدكانة ولم يكن عم محمد يجلس كعادته أمَام المكان، وجدتُ ابنه أَحمد وهو لا يعرفني ، أمامه كومٌ كبيرٌ كالجبال من الملابس المستعملة والناس تتهافت عليه بغزاره كزخات المطر، وبجانبه أحذيةٌ اكثر فسألته عن والده وأخبرني أنه سيأتي بعد قليل، أفقدني تركيزي مع الزبائن المتهافتين على المكان من أجل الثياب المستعملة من كل حدبٍ وصوب عامل

الوقت فانتظرت عم محمد طويلًا، يبدو أنَّ كلمة قليل تعني العديد من الساعات فهو لم يأت بعد، لكن أثناء انتظاري جذب انتباهي حذاءٌ يضعه أحمد تحت موطئ قدميه وهو يقف فوق الكُرسي مناديًا على بضاعته.

الحذاء يشبه بيادة الجيش، ذو نعلٍ بنيٍ قاتم وهيئته من الأمام نصف دائريه، ولونه زيتوني قاتم ويرتفع عن القَدم بحوالي ٠٢ سم تقريبًا، وبه جيبٌ صغيرٌ من الجانب، مددت يدي أتفحصه إذ يبدو أنها الحل لمشاكلي جميعًا؛ فسمك جلده قادرٌ على تحمل الصعاب، لكن لماذا يبدو جديدًا لامعًا؟

يبدو أنَّ القدر قد ابتسم لي أخيرًا ولن تشعر أصابع قدمي بالبرد مجددًا، كانت كالثوب الجديد في هيئتها تمامًا فارتديتها قائلًا في تعجب: يا الله، تناسب مقاسي تمامًا!

وضعتها داخل الحقيبة بعد التفاوض على ثمنها، والذي كلفني أكثر مما كنت أظن ببضعة جنيهات أجبرتني على السير على قدميَّ حتى المنزِل بدلًا من ركوبِ الحافلة، ذهبت إلى منزلي والسعادة تجتاحُني كمن ربِح في مضاربةِ البورصة وأصبح من الأغنياء، المنزلُ كعادته يُشعرني بالدفء، وضعت الحذاء بجوار باب المنزل، الوقت متأخرو يبدو أن والدتي نامت بعد معاناتها مع المرض محتضنةً أخي الصغير، بدَّلت ملابسي ومددتُ جسدي المُتعب على الأريكة أُشاهد التلفاز، شعرت بتعبي وإرهاقي مرةً واحدةً فغفوت دون أن أَتناول طعام العشاء.

رأيت بمنامي رجلًا في أواخر العشرينات تقريبًا، أبيض الوجه، أزرق العينين، لديه شاربٌ أشقرُ اللون، ذا شعرٍ قصير، يرتدي زيًا عسكريًا ممزقًا يُظهر بعضًا من أجزاء جسده، ممتلئ بالدماء، اقترب مني، وغمس أصابع يده في جرحٍ بجوار قلبه وأخرج يديه وهو ينزف بغزاره ويتمتم ببعض الكلمات التي لا أفهمها.

فزعتُ من نومي على صراخ أخي الصغير (آدم) الذي يبلغ من العُمر ست سنوات، هرولت مسرعًا إليه وهو يقف في منتصف الغرفة.

ما بك أخبرني؟

فقد وعيه بين ذراعي فأدخلته إلى غرفة أمي التي بدا على وجهها الذعر الشديد، قالت: ماذا حدث يا حسام؟ أخبرني ما به آدم.

نظرت إليها وأنا لا أعرف ما أقصه عليها، ولكني قلت: لا أدري يا أمي ماذا حدث.

وضعت آدم بجانبها وأنا أنتفض من خوفي عليه _فهو ابني قبل أن يكون أخي الصغير المدلل_ وأتيتُ ببعض الماء وبدأت أضعُهُ على وجه آدم الملائكي لكي يستيقظ، والحمد لله بدأ يسترد وعيه فأمسكته بين ذراعي وأنا ألتقطُ أنفاسي من خوفي عليه وقلت: ما بك يا آدم؟ ماذا حدث؟

بدأ آدم ينظر في الغرفة يمينًا مره ويسارًا مره أخرى وعيناه ممتلئتان بالخوف، وبدأ يقصُّ علينا ما حدث بهدوء بعدما اطمأن أنه بأمان، وأثناء حديثه تملَّك الهلع من قسمات وجهي، بادلتني أمي النظرات وشعرت بما أنا عليه، فنظرت لي بتعجب قائلةً: ما بك يا حسام؟

نهضت من موضعي وبدأت أتحرك إيابًا وذهابًا قائلًا: كل ما رأيته في حلمي قد رآه آدم في الحقيقة، وقد قصَّ ما حدث كما رأيته أنا بأدق التفاصيل، لا أعرف يا أُمي ما علاقة آدم بحلمي وما رأيتُه؟!

نظرت لي أمي وعيناها ممتلئتان بالحيرة والكثير من الأسئلة والتعجب والخوف، طمأنت أمي حتى تمكن النوم منها تركتها تغفو بجوار (آدم) وخرجت من الغرفة، شغلني التفكير فيمَا حدث وحاولت أن أربط حلمي بما رواه ادم فلم أستطيع حتى خانتني عيناي، وبدأت الغوص في بحر النوم المتقطِّع بعد يومِ عملٍ شاق وليلةٍ ممتلئةٍ بالألغاز.

استيقظت صباحًا وتناولت طعام الإفطار مسرعًا، ارتديت ملابسي مع حذائي الجديد فنظرت له أمي بتعجب قائلة: من أين أتيت بهذا الحذاء يا حسام؟!

فأجبتها مبتسمًا: ما رأيك به يا أم حسام؟

فقالت بهلع: من أين أتيت به يا بني فقلبي لم يرتح لهذا الحذاء؟

فأجبتها ضاحكًا: ما بكِ يا أمي؟!

هذا حذاء وليست زوجه لابنك، لا تقلقي فقد اشتريته من عم محمد بثمن بخس جدًا.

قالت بنظرة خوف: ربي يكفيك شره فأنا قد اضطرب قلبي عند رؤيته.

طبعتُ قبلةً على يدها وأنا أضحك وذهبت إلى عملي وأنا سعيد بارتدائي هذا الحذاء،

وقفت في انتظار الحافلة للذهاب إلى عملي، جذبت انتباهي فتاةٌ في غاية الجمال ذات سنوات ست تقريبًا، وقفت بجوار والدتها وبدأت تحدق بي كثيرًا وبالأخص الحذاء، تبسَّمت لها وسألتها عن سبب التحديق بي هكذا فردَّت بلا مقدمات كفتاة بالغة مع تحوُّل نظراتها، أجابتني بغضب: لأني أودُ أن أنتزع وجهك هذا.

صُعقت والدتها واعتذرت لي وأنا اتعجب مما قالته، لماذا؟ أنا لم أفعل لها شيئًا، وهذه أول مرة في حياتي أراها، لماذا قالت لي هذا الكلام المفزع؟!

ركبتُ الحافلة ينتابني الارتباك الشديد، جلست على المقعد يترنح جسدي وبدون أي مقدمات تفاجأت بطفلٍ يقتربُ مني تاركًا والده في آخر الحافلة، جذب انتباهي شدة تحديقه نحوي، لقد كان يرمقني بنظرات اشمئزاز واقترب وهو يقول: سيقتلعون رأسك قريبًا يا أحمق. أمسكه والده وابتسم لي ونزل من الحافلة يوبخ ابنه.

تحدَّثت مع نفسي بغضبٍ شديد: ما هذا اليوم المليء بكلام الأطفال الذي لا يطاق؟

وصلت أخيرًا إلى عملي، مرَّت ساعات العمل سريعًا، جاء وقت ذهابي إلى منزلي ورأيت آدم يلعب مع أطفالٍ من عُمره في الشارع بالكرة ويضحكون ويمرحون، ناديتُ عليه فأتى إليَّ فاتح يداه ليحتضنني بقوة كالعصفور يرفرف في السماء العالية ولا يستطيع أحد أن يوقفه عن طيرانه، لحظات وهرول إليه صديقه وأوقفه قائلًا: يجب عليك أن تقتلع عينه، لا تحتضنه.

نظر له آدم بغضب وقام بدفعه بقوة فوقع على ظهره وامتلأ جسده بالكامل بالطين، ضحك عليه أصدقاؤه المتبقون فهممت مسرعًا لأساعده على النهوض، رفض قائلًا: أود أن أقتلع رأسك وأحمله معي أينما ذهبت.

زادت حيرتي لما يحدث، يبدو أنَّ الاطفال جميعًا يعادونني.

تراجعتُ إلى الخلف واحتضنت آدم وحملته على كلتي يدي، تحدثت معه قائلًا: هل صديقُكَ يكون بهذا السلوك السيء دائمًا؟

آدم: لا يا حسام أنه من أكثر اصدقائي أدبًا، لكن أنا أعلم لماذا قال لك هذا.

أصابتني الدهشة من ذكائه وقُلت: لماذا؟ عليك أن تخبرني يا فطين؟

آدم: لأنك تتبدل لشخص آخر.

حسام: أتبدل!! كيف؟!

آدم: في بعض الأوقات أراك كالشاب الذي رأيته فصرخت كما حدث بالأمس.

حسام: وهل انت تراني كما رآني صديقك هذا؟ ومتى يحدث ذلك؟

آدم: في بعض الأوقات، بصراحة عند ارتدائك هذا الحذاء.

صعدنا إلى المنزل وأنا أنظر إلى الحذاء وأتذكر كلام الأطفال الذين صادفتهم اليوم وعقلي ممتلئ بالأسئلة، بعد أن أنهيت عشائي قرَّرت أن أذهب إلى عم محمد وأبدِّل هذا الحذاء، وأيضًا لأقصَّ عليه ما يحدث فقد شككت في أمر الحذاء من كلام أمي وأخي وحلمي والأطفال.

دخلت إلى موضع نومي على الأريكة أمام التلفاز أشاهده حتى غفوت، بطبيعتي لا أستيقظ ليلًا لكن على ما يبدو إنَّ الأمور لن تسير كما نريد، استيقظت عدَّة مرات على صوت شخصٍ يجري في رواق المنزل، فتحت عينيَّ لأتأكد أني لا أحلم والصوت يزداد كأنه يقترب إلي، أضأت مصباح الغرفة ولم أصدق ما أراه.

وجدتُ الحذاء يمشي كأن شيئًا خفيًا يرتديه ويتوقف فجأة، يتوقف ويكمل سيرهُ، وهكذا كاد قلبي يُقتلع من بين أضلعي فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم وسمَّيت باسم الله الرحمن الرحيم قائلًا: حسبي ربي فأنت وكيلي وحسب.

ومازلت أكررُ هذا حتى استيقظت أمي على كلامي وصوتي المرتفع.

أمي: حسام، ما بك يا بني؟

وأنا اتلعثم بكلام يقلت: ال ال الحذاء يا أمي.

أمي: ما به؟

حسام: انظري خلفك.

حينما نظرت توقَّف الحذاء بمكانه، قالت: لا إله إلا الله، أتذكر أني وضعته خلف الباب اليوم أكثر من ثلاث مرات، ظننت أن آدم يرتديه بعد مجيئك من العمل.

تملَّكتني الشجاعة مع قولِ القرآن أنا وأمي، أخرجت الحذاء أمامَ باب المنزل وقررتُ الذَّهاب لعم محمد وأن أقصَّ له ما حدث منذ شرائِه، ربَّما هو يعلم ما سر هذه البيادة؟

استيقظت من نومي قاصدًا عم محمد لأعرف سر البيادة الغريبة؟

فتحت الباب بحثًا عن البيادة لأخذها معي، ولكن أين الحذاء؟

انتابتني الحيرة فقد وضعتُها بيدي في هذا المكان ليلة أمس، ناديتُ أُمي فربما أخفتها، جاءت مسرعةً بسبب صوتي العالي: ما بك يا حسام؟! لماذا تصيح هكذا؟!

حسام: أين الحذاء يا أمي؟

اندهشت أمي وهي تبحث عنهُ أمام الباب هنا وهناك حتَّى سمعت صراخًا يأتي من الشارع، نزلت مسرعًا فإذ بآدم يرتدي الحذاء ويتمتمُ بكلماتٍ غير مفهومة، ومن ثمَّ قام بضرب صديقه المقرب بالحَجر حتَّى سال الدم منه وبدأ ينزف بغزارة، عيون آدم يملؤها الغضب، توجَّهت صوب أخي ونزعت عنه هذا الوباء

وأنا أوبخه: لماذا ارتديتها يا آدم؟

آدم: لقد جاء إليَّ ذلك الشخص، وأجبرني على ارتدائها واقتلع قلبه أمام عيني وأخذ يتمتمُ بكلامٍ غيرِ مفهوم فخفتُ كثيرًا.

أخبرته أن يصعد للأعلى ويجلس مع والدته حتَّى أعود، وقمت بالتأكيدِ على عدم نزوله للشارع حتى مجيئي، توجَّهت صوب الدكان ومعي البيادة الملعونة، فور وصولي رأيتُ العمَّ محمد وهو يجلس على كرسيه ويتناول كوبًا من الشاي، ذهبت إليه مسرعًا وبادرته بالسلام والسؤال عن أحواله.

عم محمد: وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته، الحمد لله بخير، أين أنت؟!

منذ زمن لم تأتِ إلينا؟

حسام: أنا أتيت إليكم أوَّل أمس واشتريت هذا الحذاء، لكن منذ ذلك الحين تحدثُ معي أشياءٌ غريبةٌ تمامًا، ولا يوجد لدي أي تفسير، وأريدُ منك أن تخبرني قصة هذا الحذاء وتأخذه فأنا لا أريده.

نظر عم محمد إليَّ قائلًا: يا الله! من الذي باع لك هذا الحذاء يا بني؟!

أنا أبحثُ عنهُ طيلة الوقت هذا، إنَّ به كل المصائب.

أثناء حديثنا جاء أَحمد ابن عم محمد وهو ينظر إلى بتركيز قائلًا لوالده: هذا هو يا والدي الذي اشترى الحذاء، أين كنت يا أستاذ؟ هل أنت بخير؟!

فنظرت لهما باندهاش قائلًا: الحمد لله بخير، لكني أريد أن أفهم ماذا يحدث.

فجلسنا ثلاثتنا وبدأت أروي لهما ما حدث، عندما انتهيت بدأت أوجِّه الأسئلة التي تدور في عقلي لعم محمد.

حسام: ماذا يوجد في هذا الحذاء؟

وهل هذا سبب ما يحدث لي؟

وهل الذي رأيته وسمعته حقيقي؟

العمُّ محمد نظر لي وابتسم وأخذ الحذاء من يدي وأعطاه لابنه أحمد ليحرقه، فوضعها بين ألسنةِ النَّار المتصاعِدة التي أشعلاها بغرض التدفئة.

عم محمد: يا بني، هذه البيادة كانت لضابطٍ إسرائيلي منذ فترة ليست بالقصيرة ولا الطويلة، أتت لي من فلسطين الحبيبة (باله) كانت بها ملابس وأحذية مستعملة اشتريتها منهم بمبلغ معقول عن طريق الأنفاق، وكل زبون يأتي ليشتري هذه البيادة يعجب بها لأنها قوية ومتينة ولا يوجد بها أي عيوب وتبدأُ أشياء لا تصدق بالحدوثِ معه؛ أطفالٌ يقولون للذي يرتديها كلامًا عنيفًا، يستمعون في المساء لمشيها دونَ أن يرتديها أحد، وتتحرك وتصدر أصواتًا، وكان من الغريب أن كل من يتكلم بالكلام الغريب هذا أطفال وليس الكبار.

ذهبت بها ذات يوم إلى جاري الشيخ حسن فأنا أثق به كثيرًا وأحترم رأيه، رويت له ما حدث منذ البداية للنهاية فبدأ يقرأ بعضَ من آيات القرآن من سورة البقرة ونحن جالسان كعادتنا، وفجأة بالفعل بدأت تتحرك في أنحاء مختلفة من الغرفة فقال لي: تسكنها روح شخص قد عُذب قبل موته وعليك التخلص منها، وبالفعل ذهبت إلى الأشخاص الذين باعوها لي فقالوا أنه جندي إسرائيلي قد تمَّ تعذيبه بالفعل لأنه قام بالتحرش بطفلةٍ ثمَّ اغتصابها أمام والديها تحت تهديد السلاح والضرب حتَّى ماتت الفتاة، فتربصوا به وقاموا باختطافه وافتعلوا جميع أنواع العذاب لأخذ حقهم منه، هذا جزاؤه ويستحق أكثر من ذلك بكثير، لو كنت مكانهم لاقتلعت عينيه من مكانهما، ومازال والديها يعانيان من فراقها.

حسام: يا الله!! لذلك رأيت أنه يرتدي زيًا عسكريًا، ولماذا الأطفال هم فقط مَن يرونه؟

عم محمد: لأنَّ الأطفال الصغار يا بني يعلمون أمورًا عديدة لا نتحدث بها أمامهم، ويرون أشياءَ لا نراها نحن، هم أنقياء وهذا كلام الشيخ حسن والدكتور النفسي علي الذي يقطن بأول الشارع، ولكي تصدق كلامي اذهب إليه وسيقول لك هذا الكلام.

فرددت عليه مسرعًا: لا فوالله أصدقك يا راجل يا طيب.

عم محمد: باختصار شديد؛ إنَّ كل ما سمعته وحلمت به ورأيته كان حقيقيًا، والسبب فقد ذكرته لك والحلُّ الوحيد هو أن تُحرق هذه البيادة، ويوم شرائك لها كان يوجد شخص تم استرجاعها منه ووضعتها هنا، ولكني لم أخبر ابني ألا يبيعها لأحد ولأني ذهبت مسرعًا لأمرٍ ما فقد نسيت، لكن كانت من نصيبك والحمد لله مازلتَ بخير.

فابتسمت واطمأنَّ قلبي وتمَّت الإجابة على جميع أسئلتي.

عم محمد: تعال معي لأعوضك بحذاءٍ أفضل وأجمل من ذلك بكثير لننهي سوء التفاهم هذا، أخذت الشر وذهبت بعيدًا.

كانَ يقول هذا الكلام والابتسامة والحب يملآن عينيه، أجبته: لا، لا أريد، أشكرك يا عم محمد، أعتقدُ أنَّني بعد ذلك لن أشتري أي شيء مستعملٍ مرةً أخرى، الحمد لله أنَّها مرَّت على خير.

وحاول معي مجددًا لكن دون جدوى، وأنا لم أشتر أي شيءٍ مستعملٍ مجددًا.

تمت

مها أحمد حسنين

حِكمَةُ الوَاعِظ

استيقظتُ مبكرًا على غيرِ عادتي بعد أن هاجمتني جيوشٌ من الكوابيس التي ظلَّت طوال الليل تدكُّ حصون عقلي حتى فتَّت أسواره، وأَسَرت جنوده التي كانت تحاول الصمود ولو لساعةٍ فقط كنت أُمني النفس بها لتستقبلني زوجتي ذات الثلاثين ربيع بوجهٍ شاحبٍ وعينين تتصارع فيهما الدموع في محاولةٍ فاشلة بأن تعانق وجنتيها الذابلتين، وبصوت متحشرج باكٍ تخبرني بأن صديقي قد توفاه الله اليوم،

وقع الخبر علىَ كالصاعقة؛ جف حلقي وتيبس لساني حتَّى قدماي أبَتا أن تحمل جسدي، لهيب نار يلفح وجهي، نكزاتٌ تخزني في صدري، لكنني استجمعت الكلمات التي كانت تسقط من على لساني وشكلتُّ منها جملة واحدة: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

شعرت بعدها وكأنني عائدٌ من رحلةِ شرودٍ طويلة، وذكرياتٍ كأنها أمس ولم يمر عليها أكثر من ثلاثين عام، تلك حصيلةُ رحلة صداقتنا التي بدأت من المرحلة الابتدائية وحتى الإعدادية ثمَّ جمعنا السكنُ في منطقةٍ واحدة لنتقابل فيها على فترات متباعدة.

أُعيدت تروس عقلي للعمل مرة أخرى بعد أن توقَّفت فجأة بعد أن اقتحمه هذا الزلزال العنيف، والذي شل حركته تمامًا ليظهر دعائي الدائم بالثبات في مثل هذه المواقف، ودفعتُ لساني المحتل لينطلق أخيرًا سائلًا إيَّاها:

- ماذا تقولين؟! متى وكيف حدث هذا؟!

كانت تشير الساعة إلى الثامنة والنصف صباحًا، لم تكن تعلم مدى علاقتي به، أمَّا عن سبب حزنها فهو صغر سنه وموت الفجأة الذي حل به، رفَعت رأسها عن الأرض بعد أن استطاعت الدُّموع التغلُّب عليها وخطَّت على خديها طريقًا، كنت أشعر بحرارتها وهي تلسعُها لكنَّها وعلى ما يبدو هي التي ساعدتها

على التحدث؛ فالدموع تدفَعنا أحيانًا للبوح عما ما يجول في العقول ويستقر في الصدور، وتفتح للكلمات المحبوسة نافذةً تنطلق منها، لتكمل حديثها:

- البقاء لله، سمعنا خبر الوفاة منذُ قليل، ويقولون أنَّ زوجته همت لتوقظه فوجدته قد فارق الحياة، تماسك فكلنا ميتون.

لا حول ولا قوة إلا بالله

كانت آخر كلماتي في حواري مع زوجتي، تركتها بعد محاولةٍ ناجحة في الوصول إلى سريري لألقي بجسدي الذي أصبحَ في صراعٍ مع عقلي فلا هو يستجيب لندائه كي نلحق تشييع الجنازة، ولا عقلي استسلم مثله وتوقَّف عن بث شريطة الذكريات، وسريعًا غططتُ في ثبات عميق، نمت كأهل الكهف لأجدني في مكانٍ مظلم جدًا لا أستطيع أن أرى فيه أي شيءٍ قط، ولا أستطيع الحراك، وعندما حاولت أن أستغيث لم أجد لي صوتًا يعينني على الاستغاثة، هدَّأت من نفسي وأخذت أقرأ ما تيسر لي من القرآن الكريم.

بدأت أشعرُ ببعض من الهدوء والطمأنينة، ليظهر لي طائرٌ يشبه اليمام في مظهره بلون أبيض كقنديل مضيء، أخذ يخفقُ بجناحيه لثوانٍ قليلة بعدها أومأ لي برأسه، وشقَّ طريقًا كان يضيئه بجناحيه كلما مر فتبعته علِّي أجد مخرجًا من هذا الظلام الدامس، لم يكن الطريق طويلًا حتَّى أبصَرت عيناي حديقة كبيرة تكسو الخضرة جميع أرجائها، بها أشجارٌ كثيرة مصفوفةٌ بطريقة منتظمة، تتفاوت أطوالها، وتختلف أحجام ثمارها وألوانها، سماؤها شديدة الزرقة.

وقفتُ واجمًا مشدوه الفم، شاخص العينين، لا أكاد أُصدق ما تراه عيناي فهما لم ترَيا قط مثل هذا المنظر البديع، سرت لأتفقد هذا المكان الذي يبدو لي غريبا؛ فمنذُ أن وطأته قدمي لم أرَ أحدًا فيه سواء أكان إنسًا أو حيوانًا أو غيره، وبينما أُتمتم في نفسي وقعت عيني على أسراب من الطيور الملونة ببطون بيضاء، وأجنحة تشكلت بثلاث ألوان مختلفة هي الأسود والأبيض والأزرق لكنَّها جميلة تصطف وهى تحلق لتشكل صورة جميلة، تصدر منها أصواتٌ كعزف جميل وكأنها

مقطوعة متفقٌ عليها، لكن الغريب أنَّ كل مجموعة تقف على شجرة واحدة لا تتحرك من فوقها، وكأنها مخصصة لها، حتى بمروري بجوارهم لا يتحركون، صغارها في أعشاشها ترفرف بأَجنحتها كأطفال فرحين بعودة آباءهم بعد فراق طويل.

أثناء سيري وجدتني كلما أخطو للأمام خطوة يرتفع منسوب الأرض تدريجيًا؛ فالتفتُّ خلفي لأتحقق من ما لاحظته، وجدت الأرض التي فارقتها أقل انخفاضًا عن تلك التي بلغتها فتأكَّدت أنني قد صعدت ما يشبه التل، لم ينتبني أيُّ شعورٍ بالخوف أو التردد في إكمال السير نحو ما يدفعني إليه فؤادي حتى بلغت ذروة هذا التل، لتبصر عيناي هذا النهر الذي هو عبارة عن حمم بركانية تثور وتغلي، يطفو على سطحها كل حين وآخر وجوه من البشر أعمارهم مختلفة وتبدو عليها المشقة والعذاب، فجثوت على ركبتي لأتحقق مما تراه عيناي، لأتفاجأ بأحدهم يصعد لأعلى حتى وصل قبالتي صامتًا وكأنَّه يريدني أن أبادر بالحديث، وجدتُ عقلي يدفعني لأستفسر عن هذا المكان، وما سبب وجوده هنا ليرد بلسان طليق:

- الإجابة بسيطة؛ وهي أننا كنا نظن أنَّ الحياة ستدوم إلى الأبد، عشنا على مبدأ أن نأخذ دون أن نعطي، واعتدنا أن نخطئ ونطلب العفو ممن أخطأنا في حقوقهم وكانوا يسامحون، وأحيانًا كنا لا نعترف بأخطائنا بالمرة، وعندما يأتي علينا الدور كنا نتفلسفُ ونكون القاضي والجلاد، غريبٌ أمرنا معشر البشر فعندما يخطئ أحدٌ في حقنا لا نسامحه وننتظر المسامحة من المخلوق في الدنيا وننسى الخالق في الآخرة!

الإجابة يا صديقي دومًا تأتي متأخرة بعد أن تُقطع مسبحة العمر وتتبعثر عامًا تلو الآخر، وفجأة هوى للأسفل لتكون يده آخر ما رأته عيناي بعدما اختفى في تلك الحمم البركانية، وقبل أن اجففَ عرقي الذي كان يتصبب من كل أجزاء جسدي الذي بدأ يهتز ليصبح كغثاء السيل ظَهرَت تلك الأنثى الثلاثينية تقريبًا بوجهها الجميل الذي يشبه فتاةً في سن السابعة عشر فاندهشت، واندفعت سائلًا إياها:

- تخرجين من بين الحمم البركانية بهذا الوجه الجميل، كيف؟

شَعرت أن ليس لديها الوقت الكافِي لتفكر في الرد أو تزينه لترد فور سؤالي:

- هذا ما كنت عليه قبل أن آتي إلى هنا، غرَّني جمالي وكنت أتباهى به بين النساء والرجال، كم من أنثى عايرتها بأنها ليست مثلي! وكم من رجالٍ أوقعتهم في فخ أنوثتي!

منهم من خسر بيته، وآخر خسر دينه بالبعد عن الصلاة والتقرب إلي، واعتياده حانات المجون والعربدة بدلًا من دور العبادة، ولم يسألوا أنفسهم جميعًا هل تستحق متعة لحظات بيع متاعٍ أبدي؟!

وقبل ان أطرح سؤالي التالي هوت هي الأخرى ولم أرَ منها شيئًا، وكأنها طيف واختفى، نهضت واقفًا أضربُ كفًا بكف، أصفع خدي بيدي علني أعرف أين أنا، وهل هذا حلم أم كابوس أم أنه واقع، أم أنني مت وفي طريقي للحساب، ومن هؤلاء وهل هم يعذبون أم أنها هلاوس أهذي بها؟!

انصرفت إلى وجهة المكان الذي أتيت منه، أشعر بذلك من قدماي اللتان تقوداننني ولست أنا الذي أقودهما، ليقع بصري على سيدة ذاتِ وجه قمري، وقوامٍ شبابي تعلو الابتسامة وجهها، تحمل بين يديها إناءً محملًا بالثمار المختلفة ألوانها وأشكالها، اقتربت منها لأسألها:

- من أنتِ؟ وهل أنت إنس أم جان؟ وأين أنا؟!

ابتسمت وكأنَّ القمر يضيء من ثغرها، وتفوح روائح المسك منها قبل أن تتحدث:

- أنا من حافظت على نفسها، صبرت واحتسبت، أمٌ لثلاثة شهداء ولم أتفوه سوى بجملة «الحمد لله» ودعوت أن تكون المكافأة من عند الله.

كانت تحولُ بيني وبينها شجرة كبيرة، هممت لأمرَّ من خلفها حتى أستمع منها أكثر وأجد إجابات لأسئلتي لكنني لم أجد سوى شجرة زيتون ممتلئة عن آخرها بالثمار، والسَّيدة قد اختفت!

لم يكن أمامي سوى العودة إلى المكان الذي بدأت منه، وبينما وأنا في طريق عودتي يقع بصري على ذلك الطائر الضخم الذي يحلق في الأفق بجناحيه الكبيرين وصوته المدوي، والذي يردد جملة واحدة يكررها «إن الملك لله وحده» لن ينازعه فيه أحدٌ من خلقه، ومن يحاول قسمه»

وبينما يتابع بصري هذا الطائر تتعثر قدمي لأجد شيخًا ذا لحية بيضاء متكئًا على شجرة ضخمة أوراقها كبيرة ذات سماكة، شديدة الخضرة، شاهقة الارتفاع، مدون عليها كلمات لم أستطع قراءتها، فوضعت يدي على كتفه ورحت أسأله:

-أين أنا يا شيخ؟! وهل نحن ليلًا أم نهارًا؟ وهل نحن أحياء أم أموات؟!

فنظر إلى نظرةً فيها حسرة وشفقة، ومسح بيده على لحيته، وأسند رأسه إلى جزع الشجرة ثم أغلق عينيه وبدأ يجيبني:

- نحن أحياء؛ لكنَّنا أمواتٌ تزينت لنا الدنيا فغرَّتنا وألهتنا، وها نحن نموت فيها قبل أن نغادرها، ندفع بعضنا دفعًا تجاه الخطأ بل نُزين لأنفسنا ولغيرنا حبَّ الشهوات المخالفة للأديان والمبادئ، ما من دينٍ إلا وقد اتفق أن القتل حرام والزنا حرام والسرقة حرام والظلم حرام، ورغم ذلك تتصارعُ الأديان على تكذيب بعضها البعض؛ فاستحل البشرُ قتل من يخالفهم والزنا بنساء من يخالفهم والظلم وممارسة كل ما حُرم بدافع الدين، والأديان براء من هذه الأفعال.

خلقنا الله لنعمل في الدنيا ونُكافأ في الآخرة، كل ما اتفقنا عليه بنو البشر ألا نتفق!

ننامُ وكأننا نمسك أرواحنا بأيدينا ونستطيع أن نعود بها للحياة مرة أخرى، الحياة ليست بأيدينا ولا نملك مفاتيحها، وعلينا أن نكون مستعدين في أي وقت لمغادرتها، وعلينا أيضًا أن نملأ حقائبنا بالطاعة لا بالمعصية وإنكار فضل الخالق علينا.

وبينما كان جسدي يلينُ لكلمات الملتحي وبدأتُ أشعر بالراحة فقررت الجلوس جواره لم أجده، وكأنَّها كلمات ألقيَت على مسامعي دون قائل لها، التفتتُ يمينًا ويسارًا فلم أجد أحدًا سوى ابنتي الصغيرة تنظرُ إلي في حالة دهشة، عرفت من ملامح وجهها أنَّني كنت أردد بعض الكلمات أثناء نومي.

تمت

عرفات سعيد عادلي

مُذكرَاتِي

قسم السيدة زينب الساعة الثانية عشر ظهر الثلاثاء السادس عشر من مارس لعام ألفين وتسعة عشر.

جلس الرائد حمزة ركن الدين على مكتبه الأنيق، وجلس أمامه مساعده وصهره النقيب ياسر الجيزاوي ورجل آخر يجلس بجوارهما على كرسي وأمامه منضدةٌ صغيرة وكومةٌ من الأوراق، ينظرون جيدًا لذلك الرجل ذو الجلباب البلدي الذي يقف أمامهما مرتعشًا، ثمَّ دفن الرائد حمزة لفافة التبغ التي كان يقبلها منذ لحظات في المنفضة التي تعتلي سطح مكتبه وارتشف ما تبقى من قهوته وهو يقول:

- اسمع يا هذا، إذا صدقتني القول فسأخرجك من تلك القضية كشاهدٍ ملك، أمَّا إذا حاولت التلاعب بي..

صرخ الرجل باكيًا وهو يقول:

- أقسم لك يا سيدي أني لن اقول سوى الصدق، ولن أحاول الكذب أبدًا.

نظر الرائد حمزة إلى الرَّجل الذي يقبع بجواره قائلًا:

- فُتح المحضر في ساعته وتاريخه.

هزَّ الرجل رأسه وشرع يكتب ما يقوله ذو الجلباب.

يوم الأحد، السابع من مارس، الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

يتحرَّك مروان بخطى بطيئة ويحاول جاهدًا أن يتماسك فالتواجد في هذا المكان وفي تلك الساعة يلقي بالرعب في قلبه، يرتدي عباءةً ذات قلنسوة يحاول بها أن يخفي وجهه كيلا يتعرف عليه أحد، ينير القمر ما حوله بضي

خافت فيلقي بظله على الأرض ليزيده رعبًا وخوفًا، يمسك في يده عصا خشبية صغيرة ليدافع بها عن نفسه من هجمات الكلاب الضالة وربما أحد الأشباح إذا أراد الظهور، يتخطى شواهد القبور الواحد تلو الآخر بمنتهي الحذر والرعب، وقد ساهمت الرياح بإعطائه ما يستحقه من جرعات الرعب المركزة إثر صفيرها المتزايد، يصدر هاتفه طنينًا علامة على استقبال اتصال من أحدهم فيفزع حتى تكاد روحه تخرج من حلقومه، يجيب على الاتصال وهو موقنٌ أنه قد بلل سرواله ببضع قطرات من بوله إثر هذا الطنين.

- ألو.

- أين أنت يا دكتور؟! لقد أعددت الأمانة وأنا في انتظارك.

- أنا آت، ولكن ألا تستطيع أن تقترب مني بعض الشيء فالمكان مرعب جدًا.

- لا تخف يا دكتور فهم أموات ولن يؤذوك في شيء، الحي يؤذي أكثر من الميت. وقهقه ضاحكًا، فطِن مَروان لما وراء حديث الرجل فآثر السلامة وأنهَى المكالمة، ومضى في طريقه مرتعشًا وهو يصبُّ علي رأسه اللعنات ويذكر نفسه بجائزته الكبرى التي طالما سعى إليها حتَّى وصل إلى ضالته المنشودة، مقبرة في أطراف منطقه (تُرب الغفير) يظهر عليها القدم ويحتل التهدم أطرافها وقد وقف أمامها رجلٌ طويل القامة، نحيفٌ للغاية حتَّى أنك تحسبه هيكلًا عظميًا يرتدي جلبابًا قصيرًا وشالًا أسود، يغطي عينه اليمنى بطرف عمامة قد انسدلت من فوق رأسه المكورة، ويضع بجواره جوالًا صغيرًا وما إن رأى مروان حتَّى لوح له ورفع الجوال على كتفه واتجه نحوه بخطواتٍ سريعة إلى حد ما، وما إن اقتربا حتَّى وضع جواله علي الأرض، نظر إلى مروان مبتسمًا وقد ظَهرت من بين شفتيه تلك السنة الذهبية التي تحتل أعلى فمه وظل يفركُ يديه في بعضهما وهو ينظر إلى مروان الذي فهم ما أراده فأخرج من سرواله مظروفًا أبيض يحوي الكثير من الأوراق المالية فئة المائتي جنيه، ودسَّها في يد الرجل قائلًا:

- هذا ما اتفقنا عليه، عشرة آلاف من الجنيهات.

شرع الرجل في عدِّ النقود وهو يقول:

_حسنًا يا دكتور، ولكن كل زملائك الدكاترة الذين أتعامل معهم يطلبون في الغالب جثة رجلٍ بالغ أو أجزاءً منه، لماذا طلبت أنت جثة ذلك الطفل الذي لم يتخط ثلاثة أشهر؟

قالها وهو يشعل لفافة تبغ ويعطي أخرى لمروان الذي رفضها متعللًا بأنه لا يدخن، ثمَّ أردف قائلًا:

- أنا أعدُّ الدكتوراة في طب الأطفال، ثم أنا أعطيتك ثلاثة أضعاف ما يدفعه لك طلبة الطب.

هز الرجل رأسه وهو يهم بالانصراف فاستوقفه مروان قائلًا:

- أين تذهب؟! ألن تخرجني لبداية الطريق؟!

ابتسم الرجل في لزوجةٍ قائلًا:

- لم يكن هذا اتفاقنا يا دكتور، إذا أردت أن أساعدك في الخروج فهذا له حساب خاص.

لعنه مروان آلاف المرَّات في نفسه وهو ينقده خمس ورقات من فئة المائة جنيه حتَّى يرفع الجوال على دراجته البخارية ويركب مروان خلفه، ليبدأ الرجل في التهام الطريق الترابي الممهَّد بين القبور ويصل إلى السيارة التي كانت بجانب الطريق وقد استند أحدهم على جسدها يدخن لفافة تبغ بشراهة، ما إن لمح مروان حتَّى اقترب منه يساعده في حمل الجوال ليضعه في مؤخره السيارة، ثمَّ انطلقا معًا تاركين خلفهما ذلك التُّربي الذي كان يقهقه وهو يتحسَّس هاتف مروان الذي سقط من جيب سرواله دون أن يشعر به.

******

قسم السيدة زينب، الساعة الثالثة بعد ظهر الثلاثاء، السادس عشر من مارس، لعام ألفين وتسعة عشر.

- أكمل يا حسني، إني أصغي إليك بوضوح، ماذا حدث بعد أن أخذتما جثة الصغير من حارس المقبرة واتجهتما إلى منزلكما؟!

قالها الرائد حمزة وهو يستند بمرفقيه إلى مكتبه ويتجوَّل بنظره حول ذلك الفتي رث الحالة ومحاميه الذي يقف بجواره، ثمَّ تبادل النظرات مع النقيب ياسر الجيزاوي، استأنف الفتى حديثه قائلًا:

- لم أكن أعلم ما هو الشيء الموجود داخل الجوال أو ما يخطط له مروان، كلُّ ما كنت أعرفه أنه طلب مني أن أُقله بسيارة أبي من منزله إلى تلك المنطقة وأن أُعيده إلى منزله مرةً أُخرى؛ فمروان لم يكن يمتلك سيارة فهو محدود الدخل يعيشُ على معاشِ والده فلذا طلب مني أن أوصله بعدما يأخذ شيئًا من هناك، حتَّى أني لم أكن أعلم أنها منطقه مقابر، ولو كنت أعلم لما ذهبت أبدًا فأنا أخشي تلك الأشياء جدًا، ولكني لاحظت أن ذلك الرجل الذي كان مروان يمتطي خلفه الدراجة البخارية يلقبه بدكتور فسألته متوجسًا ونحن في السيارة عائدان إلى منزله:

- لماذا يناديك ذلك الرجل بدكتور؟ ألا يعلم أنك خريج كلية التجارة؟! وما الذي أخذته منه في ذلك الجوال؟!

- سأقصُّ عليك كل شيء في المنزل يا حسني، ولكن دعني الآن فقدماي لم تعودا تحتملانني.

قالها وأغلق عينيه وهو يفرُكُهما بينما انتبهت أنا نحو الطريق وأنا افكر فيما يوجد داخل هذا الجوال حتَّى وصلنا إلى منزل مروان، صعدنا سويًا إلى شقته التي كانت في الطابق الرابع والأخير حيثُ كان يعيش وحيدًا فقد توفي والداه وهو صغير وكفله جده من والده الذي توفي منذ قرابة ستة أشهر، وقد تغير حاله تمامًا بعد وفاه جده فبدأت تصرفاته تأخذ طابع العدوانية أحيانًا والانطوائية أحيانًا، ولم يكن لمروان صديق سواي، اعتدت على زيارته يوميًا والمبيتِ معه في شقته التي ورثها عن والديه، وكان أبي يثق به ويراه نموذجًا للشاب المكافح، وبعد أن دلفنا من باب الشقة وقفت في منتصف الردهة وأنا

أنتظرُ الكثير من التفسير لما حدث، ولكن مروان قد فاجأني علي غير عادته قائلًا:

- اذهب أنت الآن؛ فأنت تبدو متعبًا جدًا وقد أرهقتك معي، وإني أنتظرك غدًا لكي تمر علي حتى أشرح لك تفصيليًا ما عقدت العزم على تنفيذه.

قالها وهو يغلقُ باب منزله في وجهي بطريقةٍ فجة، لأول مرة أشعر أنني غير مرحبٍ بي في منزل صديقي، وقد اعتزمت مقاطعته بعد هذا الموقف المشين فقد طردني من منزله حرفيًا مستخدمًا ألفاظًا مهذبة، وتجمع في ذهني الكثير والكثير من الأسئلة التي لا يوجد لها إجابات، فمن ذلك الرجل الذي قابله؟! وترى ما هو الشيء الموجود في الجوال؟! والأهم من ذلك: لماذا لم يدعني للمبيت في منزله فقد تأخر الوقت؟! مع العلم أننا إذا كنا في موقف مشابه كان يصرُّ على مبيتي في منزله ويقسم عليَّ بأغلظِ الأقسام ألا أرفض.

وفي اليوم التالي استيقظت على رنين هاتفي المنزلي، وكان اتصالًا من مروان فسألته مُتعبًا:

- لماذا تكلمني على الهاتف الأرضي ولا تكلمني على هاتفي الجوال؟!

فرد عليَّ قائِلًا: أنه لا يجد هاتفه، وألح علي أن أكون أمامه في التو والحال وألا أتأخر عليه أبدًا، وبالفعل بعد ما يقل عن الساعة بقليل كنت أقف أمام باب منزله وأدق الجرس، فتح لي بابه وقد استحالت عيناه احمرارا ككتلتين من الدماء، وكان أشعث الشعر غير مهندم، ممَّا يدل أن النوم لم يزره منذ تركته أمس.

دلفت إلى البهو الواسع الذي يتوسط مسكنه لأجلس على مقعدي المفضل بينما انشغل هو بتحضير كوبين من القهوة التي أفضلها، وبينما هو مشغول دلفت إلى الحمام لأقضي حاجتي فصرخت صرخةً مدوية، ثمَّ سقطت مغشيًا عليَّ من هول ما رأيت فقد كان يرقد في المغطس جثمان طفل صغير بلا رأس، وحينما أفقت كنتُ مقيدًا إلى كرسي خشبي من أطرافي الأربع بحبلٍ غليظ وقد كمَّم فمي بشريط لاصق، ثمَّ سحب كرسيًا خشبيًا وجلس أمامي وهو يمسك في يده محقنًا طبيًا، ثمَّ حقنَه في وريدي وبدأ في سحبِ الدماء وأنا أكاد أقطع أطرافي، وأنا أحاول

الخلاص من تلك الحبال التي تعتصرها، ثمَّ وضع غطاء المحقن وأمسكه في يده وهو يسحب شهيقًا طويلًا وأخرجه ببطء وقد شرع في شرح ما انتوى فعله وأنا مرتعبٌ مما يقول حتَّى كادت عيناي أن تقفزا من مقلتي من هول ما سمعت.

******

- أكمل يا حسني، أسمعت؟!

هكذا كان رد الرائد حمزة ركن الدين عندما توقف حسني عن الحديث، قالها وهو يشعل لفافة تبغ ويعطي أخرى لحسني الذي رفضها لأنه لا يدخن ولأن دخان لفائف التبغ يثير معدته ويشعره بالغثيان، أرجعها الرائد حمزة إلى مكانها ونظر لحسني نظرةً مغزاها أن كلي آذان صاغية، فأردف حسني يحكي قائلًا:

- كان ذلك اليوم من أصعب الأيام التي مرت عليَّ في حياتي حيث إن مروان قد تركني مقيدًا طوال اليوم دون طعام أو شراب؛ فقد كان يخاف أن يفك كمامتي فأصرخ لذا فقد أمسك بهاتفي النقال، وأرسل رسالةً نصيةً لأبي مفاداها أنه مريض بشدة وأنني سوف أمكث معه طوال اليوم والليلة حتَّى يستردَّ صحته، ثمَّ استغرق باقي اليوم في عمل أشياء لم أكن افهمها.

أزاح سجاد البهو وحرَّك مائدة الطعام الضخمة بعيدًا حتَّى أصبحت الأرضية عارية، ثمَّ مكث يمسح الأرض جيدًا وينظُفها كالأمهات قبل الأعياد، ثمَّ اختفى في غرفته فترةً طويلة حاولت فيها جاهدًا أن أتملص من وثاقي فلم أستطع لأنه كان موثقًا جيدًا فضلًا عن أني لم يعد لدي أدنى قوة لمواصلة المحاولات، استسلمت لأمري الواقع ومرَّ الوقت بين الصحو وفقد الوعي حتَّى انتبهتُ لباب غرفته يفتح عند الساعة الثانية عشر فخرج وهو يجرُّ جوالًا قماشيًا، وجلس أمامي بعدما وضعه على الأرضية النظيفة قائلًا:

- صديقي العزيز، منذ صغرنا ونحن متلاصقان كظلين حتَّى أنَّ الناس في بعض الأحيان ظنونا إخوة، كنا نلعب سويًا ونعبث سويًا؛ لذلك أردت لك ما أردته

لنفسي، فكر بها جيدًا، أنت تعلم أني منذ صغري وأنا مولع بقصص الرعب وحياة الجن واليوم جاء اليوم الذي نحصد فيه مكافأتنا الصغيرة، لقد أعددت كل شيء فتعويذة الخدمة التي ستسخر لنا الجان _التي كنت أبحث عنها في أمهات الكتب لمدة ثلاث سنوات كاملة_ معي وكل الأدوات التي تحتاجها التعويذة للنجاح متوفرة، وإني أعلم أنك ترتعب من تلك الأمور ولكن حينما تحصل على كل ما تتمناه وتحقق لك الخدمة كل ما تحلم به ستشكرني على ما فعلت.

قالها ونهض من مكانه متجهًا إلى الجوال الملقى على أرضية البهو ولم يبال بكل تلك الهمهمات التي أصدرها، فتحه ليخرج منه قنينه مليئةً بالدم والمحقن الذي أخذ مني الدماء بواسطته، ثمَّ فتح القنينة وأفرغ فيها المحقن وهو يقول لي:

الآن اختلطت دمائي بدمائك وأصبحت تشاركني ذلك فعليًا.

ومد يده ليفك عني الكمامة الموجودة على فمي، فصرخت فيه قائلًا:

- أجننت!! لن أشترك معك في تلك السخافات، فُكَّ وثاقي حالًا وإلا سأقتلك يا مروان، بربي سأقتلك.

لطمني على وجهي بكل قوته فأخرسني، ثمَّ شدني نحوه من تلابيبي وهو يصيح: لن يوقفني أحد مهما كان الثمن.

فالتزمت الصمت نهائيًا إذ لم يكن هو صديقي مروان الذي أعرفه، كان كأنَّ شياطين الكون جميعًا قد تجمعت في عينيه.

أجهشَ حُسني بالبكاء وأصدر الكثير من النهنهات القوية وهو الأمر الذي دفع الرائد حمزة لطلب كوبٍ من الليمون لتهدئته، ثمَّ انتظره بضع دقائق قبل أن يستكمِل قائلًا: أكمل يا حسني، أنا أسمعك.

استطرد حسني قائلًا:

- ترك قميصي، ثمَّ اتَّجه إلى الجوال القماشي وبدأ في إفراغ محتوياته؛ فأخرج حجرًا أسود وستة شموع حمراء، وبعض قصاصاتِ الورقِ القديمة المصفرِّ لونها والتي كانت مطويةً ومكتوبه بخط سيئ، ورأس الطفل الصغير الذي ترقد جثته في حوض الاستحمام بالمرحاض، وسيخان صغيران كاللذين تستخدمهما النساء في التطريز، وكومةً من الشعر الأسود الفاحم المتشابك بالدبابيس والطين، وجلدًا أسود مسلوخًا لحيوان أظنه قط، وقنينةً مليئةً باللبن وكومةً كبيرةً من البخور، وشرع في رسم نجمه داوود بالحجر الأسود على أرضيه البهو، ثمَّ سكب قنينه الدماء بداخل النجمة، كان يفعل ذلك وهو يتمتم ببعض الكلمات التي كان يقرأها من القصاصات التي كانت بحوزته، ثمَّ وزع ست شمعات _والتي علمت أنها مصنوعة من دهن الخنزير_ على رؤوس النجمة الستة وبدأ في إشعال لهيبهم وهو يقرأ من القصاصات بصوتٍ مسموع ولكنَّه كلام غير مفهوم، وما إن أشعل آخر شمعه حتَّى شعرتُ ببرودةٍ شديده تجتاح الغرفة وارتعاش في الإضاءة فنظر لي وهو يصيح:

- لقد طردت عمار المكان، وأنا الآن مستعدٌ لاستضافة واحدٍ من ملوك الجان السبع.

ارتعشت الإضاءة بشدَّة، ثمَّ انفجرت المصابيح التي كانت تنير منزله جميعها، وعلى ضوءِ الشموع أخذ يصيح بكل ما أوتي من صوت وهو يقرأ من القصاصات: "من أفضل سلالة الإنس إلى ملك ملوك الممالك السبع، أقسمت عليك برب الأكوان أن تظهر في الأوان ولك مني الأمان» وأخذ يكررها وهو يشعل البخور ويوزعه حول نجمه داوود المرسومة على الأرض والمضاءة بالشموع، ثمَّ مدَّ يده وأمسك رأس الطفل الصغير ووضعها في منتصف النجمة تمامًا وعاد يتمتم بكلمات لم أفهمها، كان يقرأها من القصاصات وبدأتُ أشعر بحركات حولي وكأنَّ البهو قد امتلأ بالبشر الذين يطوفون حولنا، ثمَّ بدأ بعدها بنتف كومة الشعر المليئة بالدبابيس والطين ووضعها على رأس الرأس البشري الموجود في منتصف النجمة فشعرت برياحٍ قوية تهبُّ من حوله، وكأننا في الصحراء،

ثم أضاءَت الغرفة بصوتٍ أحمر ناري متداخل يأتي من اللا مكان فأسرع إلى الجلد الأسود المسلوخ ووضعه على الرأس ليغطيها، اشتعلت الغرفة في توها وتحوَّلت إلى كومةٍ كبيرةٍ من اللهب والتي كان مركزها الجلد الموضوع أعلى الرَّأس فسكب قنينة اللبن على ذلك الجلد وهو يصرخ بكل ما اوتي من قوة بتلك الكلمات التي كان يقرأها من القصاصات، وما إن أتمَّ سكب اللبن حتَّى عمَّ الدخان الغرفة، دخانٌ رمادي اختلط بدخان البخور حتَّى استحالت الرؤية؛ فأمسك السيخان الصغيران وغرسهما في جلد القط وهو يصيح:

- الأمان الأمان، الأمان من ملك ملوك الجان.

فتشكَّل الدخان على هيئة رجلٍ كالبشر ولكنه لا يقف على قدمين، ورأسه أصلع يخرج منها قرنان صغيران، ويعلو رأسه لهب أحمر ناري مغلفٌ بلهب أزرق سماوي، وله ذيلٌ أحمر طويل، وما إن تشكَّل هذا الدُّخان حتَّى ذهبتُ في ثباتٍ عميق فقد تخلت عني كل حواسي وإدراكي، وفقدتُ الوعي مدةً لا أعلمها، كلُّ ما أتذكره أني أفقت من تلك الغيبوبة فلم أجد إلا مروان ملقىً على ظهره أرضًا وفاغرًا فاه، شاخص العينين إلى أعلى ولا يتحرك، فأخذت أصرخ وأصرخ وأصرخ وأنا أتملص من قيودي حتَّى استطعت أخيرًا أن أحلَّ يدي، وبدأتُ في تحريرِ نفسي، ثمَّ هرعت إلى خارج المنزل أستنجد بجيرانه وهُم اتَّصلوا بكم، هذا ما حدث دون أي زيادة أو نقصان.

هزَّ الرائد حمزة رأسه وهو يدقُّ جرسًا مثبتًا بجوار مكتبه فدخل أحد أفراد الشرطة وهو يؤدي التحية العسكرية.

- سوف نستضيفك بضع ساعات يا حسني حتَّى نقفل المحضر.

قالها الرائد حمزة وهو يومئ لفرد الشرطة الذي أمسك بذراع حسني واقتاده خَارج الغرفة، بينمَا تكلَّم المحامي قائلًا:

- أريد أن أُفرج عن موكلي بضمان محل إقامته.

- حسنًا، ولكن بعد انتهاء المحضر، والآن يمكنك الانصراف.

خلا المكتب إلا من حمزة وياسر اللذان انتظرا إلى أن خرج كاتب المحضر من المكتب، ثمَّ قال حمزة:

- ما رأيك في تلك القضية يا ياسر؟

- إنها انتحار بلا شك، ولو كان مروان هذا ما زال على قيد الحياة لوجهت له تهمة سرقه جثمان من المقابر، واستِغلال صديقه تحت وطأة التعذيب.

هزَّ الرائد حمزة رأسه وقد ارتسم شبحُ ابتسامةٍ على شفتيه، الأمر الذي دعا ياسر للسؤال: أولَك رأيٌ آخر يا سيدي؟

- هناك شيءٌ أشك به إذا حدث سيغير مسار القضية، فقط استدع تقرير الطب الشرعي واستصدر أمرًا من النيابة بتفتيش شقه حسني.

قالها وهو يضع سلاحه في حزامه ويغادر المكتب تاركًا وراءه ياسر يغوص في بحر الحيرة.

قسم السيدة زينب، الساعة الواحدة ظهرًا، الأحد، الواحد والعشرين من مارس، عام ألفين وتسعة عشر.

كان الجميع يتجمع حول المقدم حمزة ويهنئونه بعبقريته في حل تلك القضية المعقدة ويباركون له الترقية، وحينما فرغ الجميع من المباركات وفرغ المكتب إلا من حمزة وياسر الذي كان غارقًا في الذهول قال لحمزة:

- لابد أن تخبرني كيف استطعت أن تحل تلك الأحجية الصعبة؛ فقد كان رأسي على وشك الانفجار وقد كنت موقنًا أنها انتحار، كيف استطعت أن تثبت العكس؟!

قهقه المقدم حمزة عاليًا وجلس على مقعده قائلًا: ألم تفهم بعد؟!

- بل فهمت، ولكن أريد أن أعرف كيف استطعت حلها.

قالها ياسر وهو يجلس على الكرسي المقابل لحمزة الذي أردف حديثه قائلًا:

- بعد أن سمعت شهادة حارس المقابر الذي أعطاهم جثة الطفل لفتَ نظري في حديثه أنه أعطي لمروان لفافة تبغ فرفضها بحجة أنه لا يدخن، ثمَّ ذكر أنَّهما حين خرجا على دراجته نحو السيارة كان هناك شخصٌ في انتظار مروان يجلس على مقدمه السيارة وهو يدخن، أي أنه بالمنطق مروان لا يدخن وحسني يدخن بينما حينما عرضتُ على حسني لفافة تبغ في التحقيقات رفضها بحجة أنه لا يدخن فلفت ذلك انتباهي، وحينما كنت في مسرح الجريمة وجدتُ علي الطاولة منفضة سجائر مليئة بالأعقاب، وبما أنَّ مروان كان يعيش وحده في المنزل استنتجت أنها منذ أكثر من يومين فأنت تعلم أنَّ الذُّكور المدخنين دائمًا ما يعشقن رائحة السجائر المنطفئة منذ فترة، وحينما ترابطت كل تلك الأمور في ذهني وصلت للآتي: أنَّ مروان في الحقيقة يدخن بدليل أعقاب السجائر في شقته وأنَّ حسني لا يدخن بدليل أنَّه كان بحوزتنا يومين كاملين ولم يذق بهما طعم الدخان، وحينمَا عرضت عليه لفافة تبغ رفضها وهو ما يتنافى مع أقوال حارس المقبرة، وبما أنَّ الشخص الذي كان يتحدث إليه حارس المقبرة كان يُخفي ملامح وجهه ومروان وحسني تقريبًا متماثلان في الجسد استنتجت أنَّ الذي كان مع صاحب المقبرة هو حسني ذاته وليس مروان، وهذا يغير الكثير من القضية، وبعد تفتيش منزل حسني وعثورنا على الكتب التي تتعمق في علم النفس والسيطرة على الآخر، وبعد تقرير الطب الشرعي الذي أثبت أنَّ الدماء في تلك القنينة هي دماء مروان فقط وليست دمائهما معًا، وأنَّ البصمات علي القنينة هي بصمات حسني، وأخيرًا نفي جيران مروان سماعهم صوت حسني الذي كان يصرخ بعد الساعة الثانية عشر كما ادعى، حينها فقط أدركتُ أنَّ حُسني لم يكن مقيدًا كما ادعى بل إنَّه اختبَر كلَّ ذلك مع مروان فقد كان مسيطرًا عليه سيطرةً تامة أو بمعني أدقّ حسني هو من قام بكل شيء منذ البداية، ولكنَّه استخدم مروان كقربانٍ بشري بعد أن أقنعه بطريقةٍ ما بما يخطط له.

خرجت عينا النقيب ياسر من مقلتيهما من الذُّهول ونظر إلى المقدم نظرةَ إعجاب، ثمَّ نهضَ من مكانه وأدَّى التحية العسكرية وانصرف من المكتب في صمتٍ تام، بينما قهقه حمزة ضاحكًا من ردة فعل زميله وصديقه وصهره وأرجَع ظهره إلى الخلف على كرسي مكتبه وأغمض عينيه.

تمت

محمد مصطفي أبو حمزة

ذاتُ حُلْم

صراخ وهلع من نسوة الحارة، الكل يجري تجاه صوت الانفجارالذي أحدثارتجاج في البيوت المجاورة وسط الهرج نساء يبحثن عن ابنائهن خوفا ان اصيبوا ورجال تكبر والبعض يتعجل المطافئ والإسعاف ، الغريب أن لا أحد يلتفت ل عفاف التي تجلس على الرصيف المقابل لمنزلها الذي يخترق، متورمة العينين ساهمة وبيدها مقص القماش ملطخ بالدم ، وباليد الأخرى شحمتي أذن مقطوعتين يتدلى منهما حلق ذهب يقطر الدم منه لكن أين اللسان المقطوع ؟ تتساءل عفاف... كان بالحلم لسانها مقطوعا مع شحمتي أذنها !!

تنظر للجميع دون ان تراهم فهي لاجئة إلى إدمانها الذي تستعذبه ، مخدرها الذي يسكن آلام روحها المعذبة ، تذهب بعييدا حيث بحار وشطآن ، ملابس جميلة ، حبيب وسيم يحملها ويلف بها ... تصرخ وتضحك في آن واحد يشاركها ضحكها ،لا ينطق اسمها كما ينطقه البشر بل يغنيه ..صوته لحن ك آلة تشيللو تعزف لحنا هادئا لكنه عميق ك طبيعتها ، تسمع همسته... أحبك وتقول له أنطقها ثانية ليقول أحبك ويصرخ احبببك وهو يحملها لأعلى وتصرخ مع صرخته ،ذلك دواؤها الذي عوفيت معه معدتها من نوبات قيئ ، اضطرت معها الام لدفع مبلغ الكشف لتشفى عفاف وتستطيع مواصلة عملها ، لتفجأ الام بأمر الطبيب بضرورة عرض عفاف على طبيب نفسي... ماذا ؟ تقولها الام وهي تضرب صدرها ، تنهره ويتطور الامر إلى السباب ومطالبة الام باسترداد ثمن الكشف فيطردهما الطبيب من العيادة

ويستمر مرض عفاف ولاتستطيع معه الإنتهاء من حياكة اثواب الزفاف المطلوبة منها والام تدعو عليها جيئة وذهابا فهي تحتاج للمال لمقاول البناء ، حتى..تأتيها احلامها فتعيش بها وعليها

تحيك عفاف فساتين العرائس وترى السعادة على وجوههن ولمعة اعينهن ... تسمع منهن الحكايا عن خطيب هذه وزوج تلك وغيرة الأخرى على حبيبها ...

من وسط ضجيج الاصوات بعقلها الذاهب بعيدا يأتي صوت الأم الغليظ الذي يوقظ عفاف من حلمها ليذلها بأنها منحوسة يصيبها بالضجر وضيق بالتنفس ينبئ عن نوبة صداع جديدة ، تعايشها عفاف مع كل إيقاظة مريرة لواقع أمرّ

- نعم يا حاجة .. فيه إيه

- الداء اللي بقى ملازمك ... هنبطل نسرح ونشوف شغلنا امتى هه .. فستان العروسة اللي فرحها الاسبوع الجاي لسه مضربتيش فيه مقص وخدي بالك بالطريقة دي هنخسر ال.....

يتلاشى صوت الأم تدريجيا ويأتي صوت صراخ خارجي ، مغلف بالخوف ، تلتفت عفاف فإذا نسوة تشير إلى ماتحمله بيدها... تتساءل مالهن النسوة ؟ ....ومن قلب ضجيج عقلها يعود صوت النورس الجميل وهو يطير فتذهب اصوات النساء بعيدا مع هواء البحر ، وهي فوق اليخت الخاص بحبيبها يعلمها صيد السمك ويشويه لها .. يطعمها في فمها ... هو نفس المشهد من ذلك الفيلم الأجنبي الذي شاهدته خلسة بعد ان نامت امها بعد شرب كوب النعناع اليومي الذي اعتادته من يد عفاف التي اعتادت هي الأخرى ان تضع فيه اقراص مضاد الحساسية النفسية التي اصابتها الشهر الماضي ، لتذهب الأم في سلام إلى احلامها ببناء الدور الثالث لأبنها فقد اتمت بناء الدور الثاني وفرشته بالأثاث ليتزوج الأبن التالي لعفاف وبقى الأبن الاصغر ، يجب أن تجمع له ثمن(الشبكة) وبعدها تكمل البناء ومن ثم تنضم لجمعية مع جاراتها لتقبضها اولا لثمن الاثاث والاجهزة الكهربائية ...

من داخل عقلها المتعب يعود صوت صراخ الأم ليغطي على صوت النورس و صراخ نسوة وأطفال الشارع...

تتلفت عفاف تبحث عن امها .. لكن أين هي ؟ أين ذهبت وتركت صوتها هاهنا ... ليته ذهب معها

ترتفع دقات قلبها فزعا وتزيد آلام رأسها

صوت الأم : انت سمعاني

عفاف: ايوه ايوه حاضر هخلص الفستان

الام: فستان ايه ، بقولك عاوزين ناخد باقي فلوس خياطة الفستان بسرعة .. عيد ميلاد مرات اخوكي قرب وعاوزة اشتري لها حلق ذهب

عفاف: ذهب ايه يا حاجة ، حرام عليكي .

الام: حرمت عليكي عيشتك ، يعني ادخل عليهم في عيد الميلاد ايد ورا وايد قدام وحماته العقربة تدخل بهدية ذهب واخذل ابني ، وتحس حماته انها احسن مني.. ابدا لاحصل ولا هيحصل

تفاجئها عفاف: وانا ، انا يا حاجة مش بنتك ، تعبي وشقايا دا كله لهم مش حرام ، انا مح..

تردها الام عن تسمية حاجتها بصفعة قوية تصيب عينها فتتورم في لحظتها

صفعة مثل كل الصفعات السابقة وإن كانت صفعات رفضها الزواج من الثري العربي العجوز كانت أقوى واكثر عددا

كان العريس يقارب الثمانين ، جاء مستندا إلى ذراعي إبناه الكبيران ، يكاد لا يستطيع التنفس من ازمات الربو التي حضر خصيصا إلى مصر للعلاج منها ليقنعه احد سماسرة الزواج بالصغيرات بالزواج لتجديد شبابه ، وتنتهز الام -التي رفضت كل من تقدم للزواج منها - الفرصة بطلب مهر مبالغ فيه وشبكة مبهرة و، و، و

وبعد تلقي الصفعات المعتادة تقرر عفاف الموافقة على الزواج لتتخلص من جلستها المؤلمة للحياكة التي برعت فيها ، والسكن في قصره ببلده ويكن لديها خدم كثير ، والأهم البعد عن امها التي انتظرت خمس سنوات عجاف لتتخلص من تسمية الجارات لها ب أم عفاف وكأنه سباب متحولا إلى تاج مسمى أم محمد

يوثق الزواج في الشهرالعقاري ، وتكتشف عفاف انه زاوجا بلا أي مكاسب ف السفر لبلده لن يكون ، لن تتمتع بالقصر بل مجرد شقة مفروشة والأهم زيارة الام لها يوميا لتخلصها من اللحوم والفاكهة التي ينوء بها مبرد الطعام

لاترى عيني عفاف أي بشر حولها ... كلهم غيلان ، إلا إبن زوجها الحنون هو البشري الوحيد الذي يأتي كل يوم مساء بعد نوم والده ليواسيها و يسري عنها بعد عناء اليوم مع زوج تنتابه نوبات السعال كل يوم حتى يتناول اقراصه ويستنشق بخاخة توسيع الشعب الهوائية ويذهب في نوم عميق ، يذكرها بمرض ابيها الراحل .. كان غولا هو الآخر لايضربها وأمها إلا بحزام سرواله لتصنع حافته المعدنية خرائط وشقوق في وجههما

كم هو رقيق إبن الزوج ..يقول لها ان كوب الشاي من يدها لا يضاهيه أي كوب شاي آخر وهو صادق لانه لم يقل انها جميلة ، يلاطفها ويحادثها حتى .... تطوع بجعلها أنثى بدلا عن أبيه ، ويكتشف الإبن الثاني للزوج مأساة اسرته بزنا اخيه بمحرمته ، ومرة ثانية تعود الصفعات لوجه عفاف على يد الأبن المفجوع

ويكتشف الإبن الثاني للزوج مأساة اسرته بزنا اخيه بمحرمته ، ومرة ثانية تعود الصفعات لوجه عفاف على يد الأبن المفجوع ويطردها من البيت ، تتوسل له عفاف ألا يفضحها وان يسمح لها بتغيير ملابسها ولاتنزل قبيل الفجر بملابسها الشفافة التي اشتراها لها أبوه النائم بالداخل

تبدل عفاف ملابسها باكية داعية على ابن الزوج الذي احبته وترك اخيه يصفعها بلا مبالاة وكأنه مشهد تمثيلي من ممثليين سيئ الأداء ، وكأنما صعد دعائها إلى السماء سريعا وكما حدث بحلم يقظتها وهى تلملم شتاتها قبل عودتها لبيت الام ، اشتعلت الشقة بمن فيها إثر نسيانهم براد الشاي على النار !، واغلب الظن ان فوران الماء اطفأ النار وينتشر الغاز الذي يشتعل بفعل إشعال الإبن لفافة تبغ !! ، ولولا شهادة البواب بانصرافها قبيل الحريق لأتهموها بقتلهم ، وتعود خالية الوفاض لأمها سوى من اساورها الذهبية

التي اخفتها عن ابنه الذي انتزع من صدرها السلاسل الذهب .. وتكمل امها بخلع تلك الاساور من يدها ، تاركة لعفاف خاتم وحيد في إصبعها ، لتكمل الام تأثيث شقة ابنها بعد علقة محترمة نالتها عفاف لأعتراضها على خلع الاساور ، وكان هذا الحلم هو حلم اليقظة السيئ الوحيد الذي رأته ، ف دائما احلامها وردية جميلة تخصها وحبيب احلامها لايوجد بها أحد ممن تكرههم ...

عين عفاف تحيطها هالة زرقاء متورمة ، حاولت الام بكل الكمادات ووصفات الصيدلية المجاورة لشفاء العين دون جدوى، ولا يكتمل الثوب المنتظر ولا تقبض الام المال ، فتطلب من عفاف خلع خاتمها الوحيد لبيعه وشراء الحلق هدية زوجة الأخ ...وتصرخ عفاف رفضا ، فتتلقى من الام لكمة قوية متعمدة في عينها الأخرى قائلة ان عينا عفاف اصبحتا بلا فائدة ولتقلع عن تمردها الغريب

بعد إنتهاء عيد ميلاد زوجة الأخ ، تعد عفاف للعائلة ألذ اكواب شاي ، الغريب ان يتكرر نفس حلم اليقظة السيئ جامعا كل من تكرههم ، وهي تغسل الاكواب من أثر اقراص الحساسية المذابة في براد الشاي بوفرة ، والأغرب ان يتحقق الحلم ..،نيران مشتعلة بالمنزل بمن فيه نتيجة نفس السبب براد الشاي المنسي على الموقد ، والفارق ان خرجت عفاف من المنزل لتجلس على الرصيف المقابل قبل إشتعال النيران بثواني و الإرتياح يطل من خطين وسط كومتي الزرقة المحيطة بعيني عفاف وهي تخلع الحلق من شحمتي الأذن المقطوعتين وتضعه بأذنيها

تمت

إيمان الوكيل

الأرَق المُمِيت

لم تكن ليلةً عادية فالنجوم تزينُ السَّماء، الهدوء يسيطرُ ساعاتٍ طويلة تأبى انبلاج الفجر، وسواد عمقها بعمق أمواج البحر، غائرةٌ لا يتهيأ لناظرٍ البداية من النهاية.

بعد جدالٍ دام كثيرًا وعصيانِ الذاكرة عن الصَّمت وأنين العيون

المطالبة بالسكون معلنةً الثورة على الأرق تناول حسَّان قرص، منوم واستسلم، لاحت الستائر فجأة وسقطت ساعة الحائط وبدأت الأوراقُ تتطاير من مكانها وأصواتٌ غريبة تئن كأنها بومة تصرخ بالخراب، وعاد مرور الوقت القاتل والجو المخيف كأحداث فيلم هوليوودي من إنتاج هذه السنة، بدأت الخطوات تقترب والأصوات تهمس والأشباح تتقدم منه شيئًا فشيئًا، ما إِنْ امتدَّت على السرير بقبضةٍ مريعة استيقظ مرتعشًا تتحركُ كلُّ فرائسه مرتجفة.

يا إلهي ماذا يحدث؟

أين أنا؟

من أفلت ربطة الستائر؟ هل هو يوم القيامة؟

تجمَّعت الأسئِلة واستحضَر ذاكرته وركض مسرعًا نحو سترته المعلقة يتفقد ماله فإذا به لم ينقص درهمًا واحدًا، وجد مكتوبًا بدون عنوان يسقط ُخلسة كأنَّه ورقة خريف، فتح الرسالة وكان مضمونها:

« هذه المرة نجوت أمَّا المرة القادمة لا نعلم، نقودك لم نقترب منها، وهذا شكلك أبقيناه على قيد الحياة كإضافة فأر يتنفس على مزابل الدنيا، فالعجوز التي تسكن آخر القرية قبضنا روحها انتهى»

حاول استجماع قواه فاجتاحه اليأس من كل الجهات وبدأ بالبكاء كأنه طفل أفلت منه تلابيب أمه دون إرادة، انبثقت ساعات الفجر الأولى فارتدى ثيابه وأراد أن يذهب إلى عمله، بينما هو ينتظر القطار لنقله إلى عمله سمع صراخ أحد المارة يتحدث بصوت مرتفع:

هذه العجوز التي لم يتمكن من سرقتها أحد وجِدت مقتولة، ماذا؟ ماذا تقول؟

نعم، والقاتل مثَّل بالجثة وقطَّع كل عضو فيها، إنها جريمة بشعة، كم كانت عجوزًا تتمتع بمحاربتها لزهايمر!

أكمل سيره واستقل القطار للذهاب فهاجمته أحداث الليلة الغريبة، استرجعها أمامه كأحداث فيلم لم ينس تفاصيله.

عندما انتهى من عمله قرر أن يقضي على أرقه الذي ينتابه كل الليل فذهب لشراء بعد الأعشاب التي من اختصاصها تهدئة الأعصاب وتعمل على استرخائها، وجد نفسه أمام شابٍ طويل القامة، ذو بشرةٍ سمراء، لا يظهرُ منه سوى بياض أسنانه والوشم يغزو يديه، استوقفه قائلًا: يا أستاذ يا أستاذ، سقطَ منك هذا الكيس.

قال: شكرًا لتنبيهي.

فتناول العشبة وقال: هذه من اختصاصها تريح الأعصاب.

فقهقه الشاب ضاحكًا: لو أنها كذلك لأصبحت أغلى من الدواء، لا تتعب نفسك، شمة واحدة من هذه تصبح في دنيا الأحلام، خذها جربها.

قال: لا، لا أريد.

قال الشاب: لن تندم، عانيت كثيرًا حتى استهديت أقسم أنك ستأخذها.

وضعها في جيبه بالقوة، وقبلها منه استحياءً، يا له من عطاء!

معظمنا يعتقد أن العطاء هو مجرد مساعدة، ولكن طيبة القلوب لا تعلم أنه ممكن أن يقدم لك الموت على طبقٍ من ذهب.

مضى حسان وبدأت معاناته مع الليل وعند ساعاته الأولى قام بغلي الأعشاب وشربها، ولكن دون جدوى فقد بدأ يرى صورًا وأشخاصًا على الحائط وظلالًا مختلفة

الشكل فأخذ يغمض عينيه ولكنَّه لم يستطيع النوم، وتذكر كلام

الشاب الذي صادفه، ذهب إلى جيبة سترته وتناول العشبة التي وصفها له، لاكها ثلاث مرات ولكن لم يستطيع بلعها يشعر، إن رائحتها تفوح من إبهام قدميه حتى نوافذ جمجمته، وبعد ساعة استسلم للنوم.

وقبل الفجر بساعتين لاح في غرفته خيالُ قطةٍ سوداء تجلسُ عند نهاية سريره وتتوسَّد قدميه، قام مذعورًا بحثًا عن القطة فلم يجدها ولكن صوت موائها يملأ رأسه الذي يدورُ في حلقةٍ مبهمة، تفقد المنزل فوجد أثر وبقايا جمجمة فيها دم متخثر قاتم نتن في الغرفة المهجورة وقطة تستنجده بصوتها معلقة بطرف النافذة اليسرى العلوية، كاد أن يغمى عليه مرة واحدة فهناك شيء يدفع القطة فتسقط أرضًا فتموت، ما إن يقترب حتى يتدافعُ على السلم سرب من الخطوات التي تدفعه للهروب نحو سريره فيسمع صوتًا، إنه ليس هنا.

تبعثرت نبضات قلبه وتسارعت حتَّى كادت تفضح مكانه، حاول جاهدًا أن يدفن أنفاسه ويئِدها لكن لا حول له ولا قوة، تنهَّد تنهيدة الحياة علَّها قدرةٌ إلهية تحتويه، وتمنَّى لو أنَّ يدًا تمسح عن ملامح وجهه العرق المتصبِّب، التحف أقدام سريره العريضة وانزوى تحتها فأغشي عليه.

في بعض المجتمعات إن لم تمت بسبب سكتة دماغية أو تضخم في شريان القلب أو سرطان يهدد عدّاد أنفاسك فأنت باحتمالٍ كبير ستقعُ ضحية تجار البشر، ستكون الخبر المهمل بين ملايين يموتون دون أن يلتفت إليهم أحد، فأصبحوا مجرد رقم في دوائر النفوس تحت مصطلح متوفى.

تمت بحمد الله سبحانه

بتول حسن

لا مَخْرَج

أنا مجنونة بإسكندرية، بحرها، شوارعها، ريحة الأركان والقصص اللي المباني بتحكيها، المنتزه، سان ستيفانو، كامب شيزار، بحري، القلعة.

لما ببعد عنها شهور بكتئب بس المرة اللي فاتت كانت مختلفة عشان قررت أعمل حاجة جديدة، مش هنزل في أي فندق متعودة عليه، اخترت لوكاندة قرب ستانلي اتبنت سنة ٥٣٩١، بالنسبة لي شكلها antique تحفة وإن كان ممكن ناس تانية تشوفها مقبضة واللي خلاني أصر عليها إني كنت لوحدي ومفيش حد هيعارضني أو يتحكم في أي حاجة من تفاصيل للرحلة، فرصة ممكن متتكررش تاني.

الحيطة من بره متآكلة والجدران جوه المدخل متهالكة، طلعت السلالم متجهة لأول دور، برغم إنه كان دور واحد بس السلالم كانت متعبة جدًا، ارتفاع السلمة كبير وأطرافها معوجة، لو الواحد مخدش باله ممكن يتزحلق وتحصله حادثة مش لطيفة.

الناس في ال reception كانوا ودودين جدًا وده شجعني أكتر ومحى التوتر اللي كان جوايا، طريقتهم مريحة واستقبالهم مبهج بعكس الناس في القاهرة اللي ميشجعوش حد وميكسبوش زبون.

دخلت الأوضة، ريحة كمكمة ورطوبة هفت أول ما فتحتها، المفارش عتيقة والمساحة ضيقة كأن الجدران والحيطة هتميل عليا وتخنقني جواها، مش مهم، روحها حلوة والمنظر من الشباك الطويل القديم المترب رهيب، البحر قريب كأنه هيحضنني، رميت نفسي على السرير اللي يا دوب استوعب جسمي وبصيت في السقف، فضلت ممددة مكاني كتير لحد ما قررت أقوم عشان اليوم ميضيعش مني بس قبل ما أنزل طلبت الاستقبال عشان كنت عايزة كوباية شاي تفوقني، صداع السفر بقى ولسه عايزة أتمشى في الشوارع وعلى البحر.

بعد ما الموظفة أخدت الطلب سألتني عن رقم الأوضة رديت: ٦.

سكوت ومفيش رد، لدرجة إني افتكرت التليفون فصل.

ألو، أيوه، حضرتك معايا؟! أنا قلت أوضة ٦.

تمام آه، هبعت لحضرتك حد.

طبعًا استغربت بس قلت معلش تلاقي الشيفت بتاعها لسه مبتدي ولا حاجة ولسه مفاقتش، بعد ٠١ دقايق لقيت الباب بيخبط، بس لو مكنتش مركزة مكنتش سمعت، خبطة خفيفة وسريعة ومتكررتش، فتحت الباب لقيت موظف خدمة الغرف واقف على بعد كذا خطوة والصينية اللي عليها الشاي في إيده، ملامحه كانت جامدة وعينيه فيها خوف، مش فاهمة ليه كان واقف بعيد كده بس أكيد مش هسأله أنت ليه واقف بعيد، أخدت الصينية منه بهدوء ودخلت، غريب جدًا يعني!

يلا مش مشكلة، أنا جايه أتبسط مش هتأثر بتصرف عاملين ولا أي حد هقابله هنا، أنا جايه أتبسط، ده قرار، ياه كان حتة يوم، قعدت ف كافيه جنب مكتبة إسكندرية معايا اللاب توب وبكتب، الإلهام بيجيلي مع النسمات وبعدين اتمشيت كتير على البحر، وفي الآخر روحت سبورتنج عشان الفطير اللي مفيش زيه في مصر كلها ورجعت أخيرًا.

مديت إيدي أفتح باب الأوضة اتفتح على طول وبعدين افتكرت إني كنت قفلاها بالمفتاح، معقولة حد جه فتحها عشان ينضفها مثلًا؟!

بس لأ، مفيش حاجة في الأوضة اتغيرت، لا تراب اتشال ولا حاجة اتحركت، الفرش زي ما سبته، نفس الفوضى مطرح ما مددت، أكيد مقفلتش الأوضة، أنا اللي ذاكرتي ضعيفة، نمت زي ما أكون طفلة، بقالي زمن منمتش كده، كأن السرير محيط غويط يغرق الواحد للقاع، بس غرق حلو بصراحة، غرق بتمناه بعيد عن الدوشة والشغل والمسؤولية وخيبة الأمل من الناس.

صحيت مع الخيوط الأولى للصبح على زقزقة العصافير، جميل صوتهم أوي، بس فجأة الصوت راح، كل العصافير بطلت تزقزق، كلهم مرة واحدة طاروا فجأة ولا إيه، مش ممكن!

فتحت عيني على آخرهم لما أخدت بالي وقلبي اتقبض، مفيش حاجة معينة، لا سمعت حاجة ولا شفت حاجة بس إحساس غريب اتملكني، قمت من مكاني، فتحت الشنطة وطلعت هدوم، لبست واستعديت أنزل، رحت في اتجاه الباب بس...

إيه ده فين الباب؟!

الباب مش موجود مكانه، أكيد اتلخبطت، كان الناحية التانية من الأوضة مثلًا، لأ برده، طب جنب الدولاب، جنب الحمام، مش باين يمكن، الباب مش موجود في الأوضة كلها، مفيش باب!

يعني إيه، إيه اللي بيحصل، ازاي مفيش باب، فين الخروج، عايزة المخرج!

ازاي هنزل؟ إيه اللي بيحصل؟!

حاولت أحافظ في الأول على هدوئي بس فات الأوان، الأوضة ملهاش باب، «أوضة ٦» عشان كده، موظفة الاستقبال، خدمة الغرف، الأوضة فيها سر، كل ده ميهمنيش دلوقتي ولا عايزة أعرف سر الأوضة، أنا عايزه أخرج!

دماغي وقفت، الرعب اتملك مني عشان لما الخوف بيسيطر العقل بيغيب وبعديها بثواني رجعت لوعيي، افتكرت إن في تليفون، ببساطة هكلم الاستقبال ييجوا يخرجوني، يتصرفوا، اتجهت للتليفون، بصيت لمكانه ملقتوش، التليفون اختفى. التليفون عمره ما كان موجود، مفيش تليفون، ازاي؟؟ أمال أنا كلمتهم قبل كده ازاي؟!

بعدين افتكرت إن في مخرج غير الباب، الشباك!

صحيح فكرة مرعبة إني أخرج من خلاله، بس الوضع مش خطر أوي، احنا في الدور الأول، المسافة مش كبيرة فهحاول أنزل بأي طريقة، قربت منه

وفتحت بس لقيت عواميد حديد وراه، ظهرت امتى؟! مكانتش موجودة!

«طول الوقت كانت موجودة»

اتشليت مكاني لما أدركت أن اللي بيرد عليا مش أفكاري، مش صوت جوايا، في حد بيرد عليا، في حد معايا في الأوضة.

همست كأني بكلم نفسي بصوت مهزوز: مين؟

«أنا اللي ملقتش مخرج!»

وقتها اتأكدت، الصوت كان مجسم وواضح أكتر، صوت أنثوي، واحدة ست، بس هي فين؟ مش شايفاها.

«أنا اللي شفت الباب ومقدرتش أخرج، أنا اللي ملقتش مخرج»

يعني..يعني إيه؟

«من ٢٨ سنة اتحبست جوه جسمي، اتشليت، عينيا بس اللي كانت قادرة تتحرك، كنت ببص على الباب وبتحسر ومش قادرة أتحرك ناحيته»

«لأ، أنا أكيد بحلم، ده مش منطقي أبدًا، أنا لازم أصحى»

«واللي بيحلم يحصل له كده؟»

فجأة لقيت حاجة بتزقني ناحية الحيطة بسرعة رهيبة، اتخبطت جامد لدرجة حسيت دماغي اترجت جوه راسي ووقعت على الأرض، قمت وأنا بتألم، وعرفت إن مفيش مخرج إلا لو حاولت أجاري الكيان ده وأسمعه وأفهم، يمكن في الآخر يساعدني أخرج.

حصل لك إيه عشان تتشلي؟

«سم ضفادع» ؟!

«ضفادع سامة، خرجوا منها سمَّها وحطوه في كوباية النعناع بتاعتي، أكتوبر، ١٩٣٧»

ليه؟

«عمي، صاحب اللوكاندة مات بعد افتتاحها ب ٣ سنين، قبل ما يموت كان بعتلي جواب عشان آجي، كتب فيه إن نهايته قربت خلاص وإنه كتب لي اللوكاندة دي لوحدي، جيت على ملى وشي من الصعيد بس ملحقتش أتهنى بالورث»

مين اللي قتلِك؟

«مرات عمي، مكانش فيه غيري أنا وأمي نعرف بأمر الوصية، اتفقت مع المحامي يخفوا الموضوع، والسر يتدفن معايا»

انتي هنا عشان تحكي؟

«لأ.. أنا هنا»

عشان إيه؟

«أنا هنا»

لقيت ملامح بدأت تظهر في الهوا، كانت مش واضحة، شفافة، عينين ومناخير وبق ودقن بس من غير جلد، كأنها مية مرسومة على شكل وش، الوش الشفاف شاور لي على حيطة معينة، جنب الدولاب، قربت منها وأنا قلبي بينتفض، كان عندي إحساس معين واتمنيت ميكونش حقيقي.

فجأة النهار قلب ليل، النور راح وبداله عتمة حلت، وبعدين ضوء خافت ظهر من بعيد، وهج بدأ يزيد، شمعة بتقرب وتحتيها طبق صغير حد شايله، هيَّا شايلاه، بقى جنبي مباشرة وقدرت أشوف قدامي، في الأرض جنب الحيطة لقيت فاس وفهمت المفروض أعمل إيه، مسكته وقعدت أضرب في الحيطة وأحفر وأحفر لحد...

لقيت خصل شعر لونها أبيض من التراب والأسمنت، ضربت الفاس أكتر، بدأ هيكل بشري يظهر، جمجمة وعضم، هيَّا هنا عشان هيَّا لسه هنا، مخرجتش من الأوضة، اتدفنت جوه الحيطة واتردمت.

عمري ما تخيلت في أجمح أحلامي إني ممكن أشوف منظر زي ده، المفاجأة شلتني، إيدي ماسكة في الفاس اللي أخدت بالي إن عليه آثار دم، معرفش جت منين، حسيت بيها واقفة جنبي، عدد الشمع والوهج زاد ومن غير ما أبص ناحيتها قدرت أميز إنها راسمة ابتسامة غريبة معرفش مغزاها ولقيتها بتقول لي:

بنبص على إيه؟

عليكي، انتي لسه هنا، حتى مهانش عليهم يكرموكي بالدفن، حطوكي هنا، جثتك هنا.

جثة مين اللي هنا!

جثتك، أهي، عضامك، كشفتها بالفاس.

أنهي فاس؟

بصيت في إيدي ملقتش الفاس وبعدين قدامي ملقتش أي حفر في الحيطة، الحيطة زي ما هي، وإيدي، االه، ألم رهيب، بصيت على مصدره لقيت عُقل صوابعي بتنزف، كنت بضرب على الحيطة بيها!

اتنقلت من جنبي لورايا على السرير، كنت عارفه إنها قاعدة من قبل ما أبص عليها، اتلفتت لقيت نفس الابتسامة المستفزة اللي مش مفهومة وبعدين قالت:

«انتي بتكرهي مرات عمي صح؟ الست اللي قتلتني»

«أكيد ست معندهاش قلب»

«ولو قلت لك إني كنت عشيقة صاحب اللوكاندة مش بنت أخوه برده هتفضلي كارهاها؟!»

«أكيد لأ، كده الموقف يتغير تمامًا، كده هي عندها حق!»

مش فاهمه الجرأة دي جاتلي منين، بس أنا مكنتش قادرة أتحكم ف نفسي، بقول اللي جوايا وبتصرف على طبيعتي من غير القدرات العادية على الكدب والتزوير والتمثيل، كأني بقيت في كون تاني، بُعد محدش يقدر يكدب فيه أو يخبي خوفه واللي جواه..

لقيت وشها اتجه لبقعة معينة، مكان التليفون، بصيت لنفس المكان لقيته موجود، جريت عليه ودوست على أرقام الاستقبال وبعديها، العدة اختفت وبدالها لقيت كفي، واكتشفت أني ضغطت عليه بضوافري على أساس إنه أرقام وطبعًا اتعورت ونزفت وفي حروف: «أ ن ت ي... م ل ك... ا ل أ و ض ة... م ل ك ي... م ف ي ش... م خ ر ج»

قمت مفزوعة، مفيش مخرج، رجعت لفيت بعيني ف كل الاتجاهات، مفيش باب، مفيش باب.

بعدين حسيت ببرودة رهيبة ورايا، لفيت ببطء لقيت ولد صغير وشه شاحب مزرق، شعره أسود فاحم، خصلات شعره على جبينه مدببة وشفايفه لونها أحمر ولزجة وبيطلع من بوقه دخان بارد كأننا في عز الشتا، في الشارع أو في مكان مش مستور.

«طب لو قلت لك إني أنا اللي اتقتلت وإنها قتلتني عشان كانت مرات أبويا ومكانتش عايزة حد يشاركها في اللوكاندة بعد ما أبويا مات هترجعي تكرهيها تاني؟»

ساعتها بدأت أدرك إن ده مش شبح، ده كيان شيطاني وإنه بيحاول يثبت لي قدراته، ازاي يقدر يدخل الفكرة جوا الإنسان ويقنعه بحاجات مش موجودة، يلعب بيه ويحرك الشخصيات والأحداث على مزاجه أحسن من أحسن مؤلف وكاتب، ازاي يقدر يخلق نظرية مؤامرة ويكره حد في حد ويحبب حد في حد على أساس مش موجود في الأصل.

وبعنين متحدية وصوت بشع كرر سؤاله:

«هاه هتكرهيها؟»

«لأ!»

«لأ؟؟!»

قرب مني بسرعة رهيبة، مش على رجله كأنه طاف في الهوا وارتفع من الأرض كام سنتي، فرد إيده الزرقة وحطها قرب رقبتي، حسيت حرفيًا كأن قطع جليد اتكونت في المكان ده، برد مش عادي بدأ يسري ويتنقل لباقي جسمي وبعدين مشي بيا وبرغم جسمه القليل قوته حركتني لحد الحيطة، بصلي بعيونه الحمرة وهو لسه بيتحداني وواثق في الفوز، لقيتني بقول بصوت محشرج:

-أنا هخرج!

ضحك بسخرية. وفلت إيده من عليا وقال لي اتفضلي.

غمضت عيني لحظة وافتكرت مكان الباب بالظبط، غريبة إني قدرت أفتكر، الأحداث دي شوشت كتير من ذاكرتي ومكنتش متخيلة إني حتى ممكن أفتكر اسمي.

اتوجهت ناحية المكان اللي افتكرته، ذهول بدأ يكسي نظرته وزاد لما مديت إيدي على حته في الحيطة كنت متأكدة إنها كانت مكان الأوكرة مسكتها وفتحت!

خرجت ومشيت من اللوكاندة من غير ما أقول كلمة للموظفين ولا لبشر، بس الخدوش والدم والجروح اللي على جسمي كانت كافية إنهم يكونوا فكرة عن اللي حصل لي، أنا قدرت أخرج وأكيد في ناس حظهم هيوصلهم برضو للأوضة دي وممكن يشوفوا حاجات غير اللي شفتها، قصصهم تبقى مختلفة، ده بالنسبة للي هيخرجوا أمًّا اللي مش هيخرجوا فأكيد قصصهم هتبقى مثيرة أكتر بس للأسف مش هنعرفها أبدًا.

تمت

ياسمين رحمي

. جميع حقوق النشر محفوظة

ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو نقله بأى شكل من الأشكال أو تدواله إلكترونياً نسخاً أو تخزيناً دون إذن خطي من الدار .